حسن عبد الحي قزاز

١

مشواري مع الكلمة





حسن عبد الحي قزاز

مشوار مع الكلمة

١

الطبعة الأولى

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

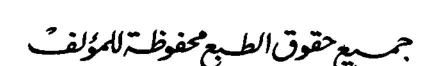
تصميم الغلاف للفنان: اسماعيل ديّاب

مع أطيب التحيـة وأحـلى الأوقات ؟

حسن عبد الحي قزاز



وبـه نستعين




مشوار
مع الكلمة



الإهداء

معظم الكتاب ـ عندما يصدرون كتبهم يحرصون على اهـدائها لمن يحبون او يعجبون بهم .

انه تقليد حسن ..

ولعل من المناسب أن أمارس نفس التقليد ..

فأقدم او بالاحرى أهدى كتابى هذا ..

إلى والدتى ـ رحمها الله ، وطيب ثراها

والدتى التى كانت تحرص دائما على سؤالى هل صليت ؟

كنت أحيانا أصدقها القول باننى لم أصل بعد ..

واشرع فى الوضوء واداء الصلاة ..

وأحيانا كنت أزعم بأننى قد اديت الصلاة .. وتصدقنى .

لكننى كنت احس بان زعمى كان كذبا .. وأن على ان اؤدى الصلاة .

كل هذه النوازع خلقت فى قلبى .. وفى نفسى حب أداء الصلاة لئلا اكذب ..

أما والدى رحمه الله وطيب ثراه .

فـقـد كـان يـحـرص عـلى أن أعـود إلى البـيـت مـبـكـرا .. كما كان ينصحنى بأن أقرأ كثيرا .. وأن أبتعد عن مظان السوء .

إنها نصائح يبديها كل الآباء لأبنائهم عادة .

الا أن شعورى بها أخذ يتعاظم كلما رأيت أبنائى يكبرون .

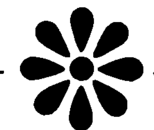
رحمهما الله .. واسكنهما جنات النعيم .. فقد كانوا كل الاباء والأمهات وسيظلون يحملون همومنا والخوف علينا ، حتى عندما نبلغ مبلغ الرجال .. وليس هذا فقط بل كذلك يحملون هموم صغارنا .

وأحسب أن كل أب وأم لايرتاحان الا اذا ماتا ، وقد قرت اعينهما الى حد ما او حملا من الأسف كغيرهما اذا ماكان ابناؤهما على غيرمايودان .

فاللهم رحمتك بنا ، وبهم ، يامن كتبت على نفسك الرحمة .

ويامن سبقت رحمته غضبه .

يا أمان الخائفين ،،،



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قد يبتسم المعنى بأمر الادب واصداراته أن يقدم لكتابي هذا « مشوارى مع الكلمة(١) » أحد ابنائي فى دنيا الصحافة ومعتنقى متاعبها : الابن السيد عبدالله عبدالرحمن الجفرى .. وبرغبة خالصة منى لعله فوجىء بها ، لأنه لم يكن يتوقعها ، أو حتى يفكر فيها لو طرحت عليه مثلا ..

ربما لفارق السن ، أو لما يسمى « بالأقدمية » والباع بطوله أو قصره .. ثم لمحاولاته أن يكون أحد كتاب جريدة عرفات فيما بين عامى ١٣٧٧-١٣٧٨هـ ..

لقد ارسلت اليه الملف كاملا وانا اذكر هذا التاريخ .. وما تلا هذا التاريخ ١٣٧٨-١٣٨١هـ من محاولات مماثلة أيام كان يزور جريدة البلاد فى شخص سكرتيرها أستاذنا عبدالغنى قستى سكرتيرها فى تلك الأيام وكان يصحبه العمدة - فيما بعد الاستاذ عبدالله خياط .. وقد كانا يقتعدان أية وسيلة جلوس فى احدى ردهات مطابع الاصفهانى وشركاه بجدة .. وعند المنضدين وغيرهم ..

وكان احساسي أيامها يشدنى الى انهما سيصلان الى متاعب الصحافة وبلاويها .. لأننى من المؤمنين بنظرية « المواظبة » التى توصل الانسان الى غايته طال الطريق أم قصر .. أو عز عطاؤها أو أمتد ..

ثم كان ماكان من استمرارهما بطلعتهما فى جدة ، ومن ثم اختيار معالى الصديق الاستاذ محمد عمر توفيق أن يكون « العمدة » محررا فى مكتب الجريدة بمكة المكرمة .. أيام كان مديرا للمكتب فى الفترة ٧٩-١٣٨١هـ ..

الا ان الجفرى آثر ان يستمر معنا فى جدة .. وكانت محاولاته لنشر كلماته وهو يزاحم معالى الدكتور محمد عبده يمانى وزير الاعلام السابق فى نفس الرغبة وفى مقابل أن يقوم كل منهما بتصحيح ثمانى صفحات من الجريدة مقابل نشر قصة أو رواية أو مقال .. واذكر كيف كان « الجفرى » يحرص على ختل « اليمانى » فى نقد رواياته تباعا دون علم منه ..

ثم تطورت العلاقة مع الجفرى .. أما الدكتور اليمانى فقد سافر فيما اظن الى الخارج ليكمل تعليمه فى أمريكا حتى تم له التخرج بشهادة الدكتوراه .. لكنه كان يواصل كتاباته ويرسلها الينا .. وننشرها بدون أى مقابل منه ..

وازدحمت المسؤوليات على عواتقنا .. وفى احد الايام اخترت الجفرى ليشرف على احد اركان الجريدة .. ربما كان ركن « الفن » لأن ركن الأدب كان يشرف عليه الابن محمد جميل فضل .. او العكس بالعكس .

وواصل الجفرى مشواره حتى وصل الى قمة جريدة عكاظ لعدة سنوات ، وكنت احد كتابه لكن سبقه الى نفس القمة زميله « العمدة » الاستاذ عبدالله خياط .. وكتبت له عدة مقالات تلطف بنشرها .. كما اوفد فى ايامه تلك احد مندوبيه .. ليحقق معى فى الاوضاع الصحفية انذاك .. ونشر التحقيق واحدث بعض « الحساسيات او الدمدمات » عند بعض المسؤولين عن مؤسساتها لكن احدا منهم لم يعلق على التحقيق وما ورد فيه اطلاقا .

ومرت الايام حتى شجعنى من شجعنى على اصدار هذا الكتاب بعد

تجميع بعض فصوله .. وفى مقدمتهم معالى الاستاذ محمد عمر توفيق .

وظلت اوراقه مبعثرة هنا وهناك .. الى ان قرأت فى « مارييبيا » احد مصايف اسبانيا كتاب الابن فؤاد عبدالحميد عنقاوى « اوراق مبعثرة » فى الايام ١٨ - ١٩ من شهر شوال ١٤٠٢ هـ ..

وقد شدتنى فصوله عن المجتمع الحجازى وما كان يزخر به .. واعادتنى الى مذكراتى لبعض ما جاء فى هذا الكتاب ..

وارجأت قراءة « المقدمة » او « التقديم » بعبارة ادق فيما اظن ، حتى اقرأ فصوله أولا .

ثم قرأت التقديم الذى كتبه الابن عبدالله جفرى ، فوجدت فيه عرضا يختلف عن كل ما يكتبه الذين يقدمون لكتب الكتاب من ادباء وغيرهم .. ولا اكتم القارىء سرا لو قلت : بان معالى الصديق الاستاذ محمد عمر توفيق وعد بأن يكتب تقديما لفصول كتابى هذا باعتباره احد المشجعين لاصداره .

ومن يدرى فلعله اعجب بفكرة هذه الفصول .. او انه اراد مجاملتى ، لكننى اميل الى ان يقدم هذا الكتاب احد ابنائى فى المهنة .. وليس فى ذلك ما قد يضيرنى فيما اعتقد ، وليس فيما « اظن » كما قد يقال احيانا ..

وقد لايكون من حقى ، ان يكتب ماأريده .. ولكن يهمنى ان يقدم الكتاب وفصوله التى تحكى اوضاعا قديمة مازال بعضها مرعيا حتى الآن بما يراه من زاويته كأديب استطاع ان يشق طريقه بكل الثبات والعطاء والاستيعاب والمفهومية ايضا .. ولذلك فانه ليس هناك ما يمنع من ان يقول رأيه - ايا كان - فى دردشة كهذه قد تزجى فراغ وقت القارئين ، وربما على كره منهم ، او على ارتياح ما ..

ثم لا ادرى من الذى قد يتأفف من الكتاب ويلقى به جانبا ، او الذى يحرص ليعطيه احد ابنائه عساه يقرأه اويلقى به جانبا هو الآخر ، ودون ان يعنى برده الى والده ، او صديقه مشفوعا بكلمة شكر .. او صمت هادىء .. او على اقل اعتبار وضعه مع رصفائه من كتب هذه الايام او ما قبلها كأى ديكور فى المكتب او المنزل .. وصدق من قال : وخير

جليس في الزمان كتاب .. ذلك لانه لايحتج ، ولا يصرخ .. ولا يشكو من تصرفات قارئه ، او قرفه او حتى استخفافه .. او حتى الاسترخاء كمجلبة للنوم .

ان فصول هذا الكتاب قد تكون في مجملها ما يشبه للدردشة الذاتية لكنها على الاقل تعطى فكرة عن بعض ما كان المجتمع يعيش فيه قبل نحو من ٤٠ - ٥٠ عاما ..

واحسب ان حياة المجتمعات هى صورة او نسخة من حياة الافراد بحكم اتصالها وتلقيها من المجتمع الكبير ذاته .. والا فكيف تجىء ذكريات كهذه ما لم تكن ظلالها اصلا مستمدة من رواق يمور فيه الناس بكل ما ينطوون عليه .. ويظهرون فيه .. ويعيشونه بكل التفاصيل بالوانها واشكالها وصورها ..

أفثمة ما يقال بأن « المذكرات الشخصية » هى سير ذاتية .. ينبغى ان تعيش في ذهن صاحبها .. ام انها تحمل في طياتها الكثير ، او حتى القليل من الصور والملامح مما يمكن ان يكون افكارا صالحة تلقى الضوء على اوضاع عاشها المجتمع بماضيه وبكل روافده .. فكان لها غد ، ثم حاضر يقود الى المستقبل .. بما قد يتأتى له من ضياء يشع منه النور على اوسع مداه .. او افكارا تنم عن واقع حياته ومعاشه لتحديد مستقبله على نحو افضل من الذى كان يسير عليه .. والى اخر التوقعات المنظورة وغير المنظورة .. لكن هذا لاينفى ظهور ظواهر تطغى على التوقعات او تتساوى معها .. او تلغى بعضها او معظمها .. او تضيف عليها الجديد مما سيظهر بملامح جميلة ومضيئة ..

اننا في عصر يعتمد كليا او حتى جزئيا على دراسة التوقعات استنادا الى الماضى والحاضر ، والا فكيف يمكن لواضعى المخططات المستقبلية ان يبنوا دراساتهم لما يحتاجه اى بلد في المستقبل المنظور بعد ١٠ - ٢٠ - ٥٠ عاما ..

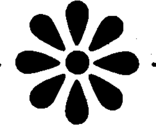
ان مثل هذه الدراسات عشنا توقعاتها بما يشبه الخيال كما علمنا ومما سنعلمه في قابل الايام والسنوات ..

فانت ترى كيف تدور الاحاديث بيننا عن ارتفاع اسعار الاراضى

مثـلا .. والتوسعـات المذهلة للمـدن الرئيسية فى البـلاد وبمـرافقهـا العامة .. واستقدام هذا العدد الضخم من الايدى العاملة الذى ربما تجاوز الـ ٥٠٪ من عدد السكان الاصليين .. وما نجم بعد هذا من ارتفاع اسعار السلع والحاجيات وايجار السكن ، والى مالا يحتاج الى حصر وبيان ..

ثم من كان يظن اننـا سنمتلك ناصيـة الاقتصاد العـالمى من وراء امتلاكنا ناصية التدفق البترولى الضخم .. وامساكنا بخيوط السياسة العالمية فى كل ما تمور به وتعيش ..

انها التوقعات ، والدراسات وكفانا الله شرها .. واعطانا خيرها ..



معنى المشوار

.. وكان مشوارا طويلا حقا .. ولكن الاستمرار فيه سر حلاوته .. كالشعور باللذة منه ، وعلى مداه ..

ولم تكن المتاعب التى كنت اعانيها ، واكابدها .. انا والزملاء الذين رافقونى وزاملونى الا كطيف لايلبث - وقتها - إلا ان يغيب او تبهت ملامحه ، مع كل كلمة تنشر او تقال ، ثم لا نملك استرجاعها لانها غدت ملكا للآخرين ..

وكان التعب لايأخذ مني أى نصيب ، لأن الشعور بتأثير الكلمة ، ونجاحها .. ووصولها الى القلوب والعقول والافكار يأخذ بكل كيانى لدرجة انسى معها نفسى كالعاشق الذى يقطع الفياف والقفار بحثا عن حبيبته .. لذلك اجدنى دائما اتوق الى مشوار اطول .. وكالعاشق الذى لايفتر عن هيامه وولعه بحبيبته دون ان يدرى .. او كأنه يدرى . وتلك كانت هى مصيبتى ..!!

ثم كانت الصعاب والعقبات تزيدنى صلابة وعناد للمضى الى اطول مشوار : رغم ان تناولى للكتابة يتسم دائما بعكس هذه الصلابة ، وذلك العناد .. لأنهما بعيدان عن اى تحد كان .

فلقد كانت الصلابة للفكرة وهدفها . وكان العناد يتساوى مع المتابعة والمثابرة المجهدة لايصال « الكلمة » للآخرين ..

وكنت ادرك ان ايصال « الكلمة » مختلف عن الاقتناع بها ، والسبب واضح : هو اختلاف المشارب .. وتضارب الاتجاهات .. لدرجة قد لايكون التقبل لها مريحا .. وقد ترقى احيانا الى مرحلة ما من مراحل الاحتدام عند النقاش ومراميه وابعاده ايضا .

وتلك سنة الله فى خلقه ، لكن ايا كان الأمر ، فان تقبلها حتما سيرقى الى حالة من التأمل والاستقرار والتفكير . وذلك حسب الكاتب ان يناله ، ايا كان الظرف .. ايا كانت الاحوال .. والمشارب .. واختلاف الآراء .

ولا ادرى - حتى الآن - رغم مرور اكثر من اربعين عاما ، وانا اعالج « الكلمة » مصدر الصلابة والعناد معا .. وهما باقيان وسيبقيان معى ما حييت .

ولكن الذى أدريه ، وأعيه دون اى شك يلوب فى نفسى ، هو ان « الكلمة » لابد ان تؤدى دورها .. وان تترك بصماتها واثرها طال الزمان ام قصر .

ولهذا فانه يحلو لى كثيرا ان اعود الى ما كتبته فى هذه الفترات الزمنية الماضية - رغم عناء البحث والتقصى - لأنظر ما الذى حدث بعدها فعلا ، او اثرا ، او اتجاها . وليس عجيبا اننى وجدت فى كل كلام ورد فى هذا الكتاب او معظمه قد تحقق ، سواء على الصعيد الرسمى او الصعيد الخاص .

وهذا ما اسعدنى حقا - وفى الوقت نفسه تاكدت ان المتاعب التى تجاوزتها .. والمصاعب التى مشيت على اشواكها لم تكن فعلا ذات اثر ترسب فى نفسى ، ولا على اعصابى ، ولا على تفكيرى طيلة هذا المشوار - رغم اننى ما زلت امشى مع « الكلمة » ولو على اطراف اصابعى حتى يكمل المشوار بآخر نفس من انفاس الحياة التى اعيشها .

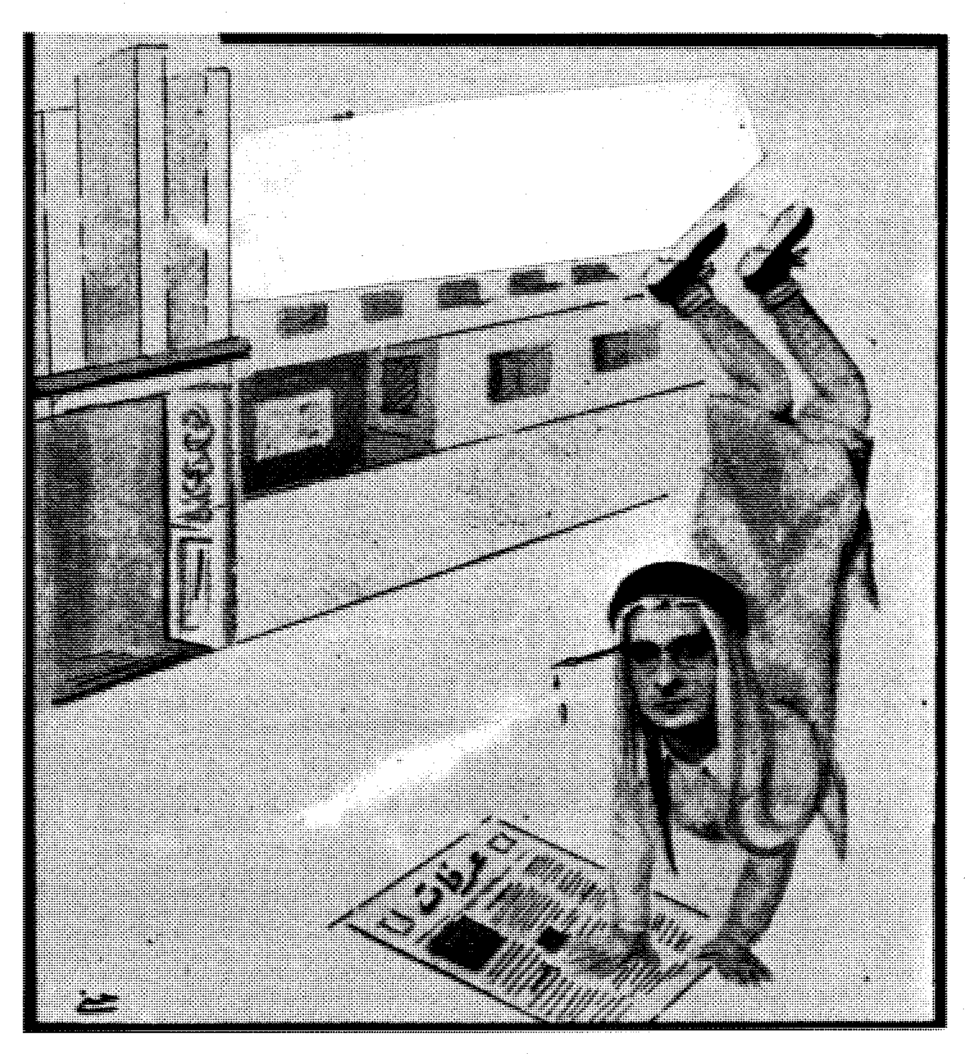
« والكلمة » بعد كل هذا ، وذاك هى حصيلة صراع بين نزعات النفس ، وطموحات العقل ، وهى الركيزة التى تنبعث معها كل الأمنيات والآمال والآلام ايضا .

وهى حصيلة صراع بين كل العوامل التى تمور بها حياة المجتمع وتطلعاته .. الى مراقى السعادة والرفاهية . والى انتقاء او طرح ما يعلق بهذه الحياة من شوائب واوضار قدر المستطاع والاماكن .

وهى حصيلة صراع بين قوى الخير والشر .. وتحدد بالضبط هوية الكاتب وانتماءه الى مجتمعه وحرصه على العيش فى مشاكله وامالـه وتطلعاته بغية الوصول الى الأفضل والأحسن والأقوى .. وفى محاولة جادة لا استرخاء فيها .. او تهاون للأخذ بأسبابها .

وهى حصيلة صراع بين ما يغنى الفكر ويثريه بأسمى معانى الحب ، والخير ، والجمال ، وما قد يحول دون ذلك .

وهى حصيلة صراع بين نفوس : طبيعتها التشكيك فى كل شىء ، وبين اخرى تميل الى الشعور بايمان اليقين وتجنح بها الى سموها الذاتى ، وايمانها العميق « بالله جل جلاله »..



الراحة من مشاكل « عرفات » بطريقــة « اليوجا » الهنـدية

وهى حصيلة صراعات بين طبقات متبـاينة .. متفـاوته لكـل منها مطالب .. ونوازع ، وتطلعات .

وهى حصيلة صراع بين ما ينبغى ان تقوله ، وبـين ما ينبغى ان تسكت عنه .

وهى حصيلة صراع بين ما يعتقد الكاتب انه الصـواب او قريبـا منه .. وبين ما يعتقد الآخرون انه الخطأ او قريب منه .

وهى حصيلة صراع بين ما يقال عن حسن قصد ، او عن قصد تشوبه الشبهات وما قد يحوم حولها .

إلا انها فى ميزان العلاقة بين الكاتب والقارىء « صمام امان » اذا ما توفرت الحكمة ، والموضوعية ، وبكل ثقلهما فى اى شأن من شؤون هذه العلاقة وروابطها ذات الجذور المتأصلة العميقة .

ولا اظن ان هناك من ينكر هذه الحقيقة التى لا مفـر من الاعتراف بجدواها وبأصالتها ايضا .. خاصة اذا صاحبها التقويم على الوجـه الصحيح وبمنظار دقيق .

ثم لا جدال فى ان الكاتب فى معاناته وهو يجسد اوضاع المجتمع ايا كانت ، وكيفما كانت ، مثله مثل الذى ينحت الصخر دون ان يكسره ، او لكأنه يمضغ حديـدا ، او يمشى على الشـوك الذى يدمى قـدميه .. او يكاد ..

ولا اظن اننا بعيدون عن استيعاب هذا المفهـوم وهضمه ايضـا ، وبكل القناعة والارتياح .

« والكلمة » بعد .. هى طلاب القارىء .. الذى كثيرا ما يفطن لما قد يشوبها من الطلاء والتزويق . لذلك فان الكلمة (الصادقة) لاتحتاج ، ولا تحتمل اطلاقا اى حشـو او تلفيق . والا ذابت مع الهـواء اللافح فتذهب هباء .

ثم ان (الكلمة) عندما تصدر من كـاتبها او قـائلها .. معبـرة عن احساس المجتمع وضميره . انما تصـدر عن واقع معـاش يزخـر بكل مافيه .. وعنه .. وكأنها الصورة النابضة التى لا تكذب .. ولاتضلل .. ولا تنفى اى مظهر او جانب من جوانبها .. الى جانب عمق تعبيرها وثراء مضمونها فلا تنضب .

ويقال ان الكاتب لسان المجتمع .. او مرآته في بعض التعابير : ولكنني لا أؤيد رأى القائلين - ولا انفيه إذ أغلب الظن ان بعض الكتاب قد لا ترقى مداركهم دائما رقى الواقعية والاحساس والضمير. لا لعجز او تقصير منهم . ولكن للنظرة الضيقة .. او التشاؤمية .. او الوقوف عند اقرب نقطة : لأن من اهم الشروط التي يجب ان تتوفر في الكاتب ان يكون شموليا في طرحه لاى فكرة يراد منها . النقد أو التقويم .. أو العلاج .. أو التصحيح لأى مسار يسير فيه المجتمع اذ كل المجتمعات في العالم لها تناقضاتها على الدوام ، ولا يمكن بحال من الاحوال التخلص منها او القضاء عليها .

ولذلك كانت « الكلمة » هي الوسيلة لعلاج هذه التناقضات وتقليصها .. او التخفيف من تفاقم اخطارها ليحدث التوازن المتوخى - ولو الى حد ما .

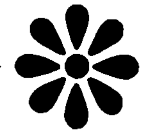
والدليل على ذلك في الكتب السماوية التي نزلت لاحكام سير هذه الحلقات المتناقضة .. وتضييق فجواتها عبر الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين « رحمة من رب العالمين » حتى يثوب الناس الى الرشد والبعد عن الضلال . والمشوار مع « الكلمة » طويل - وسيظل طويلا ..

ولكنني على اى حال اعطيت فكرة ولو مصغرة عنها . وهى ليست بالضرورة علاجا كافيا ، الا ان بوسعها على اى حال-اى الكلمات-ان تنبه كلا منا الى ما ينبغى ان ندرأ به عن انفسنا وافكارنا ماران عليها ، من شىء كالصدأ ، او ما قد تطاير عليها من غبار .

ثم لا ازعم انني الصحفي الكاتب الوحيد الذى ادى مثل هذا الدور في صحيفتين قمت بتأسيسهما : هما ، عرفات الاسبوعية ، والبلاد اليوميةو ما سبق ان كتبته في جريدة البلاد السعودية : مدرستى الأولى كناقد رياضى وكاتب اجتماعى .. وفي صحافة المؤسسات - بل هناك كثيرا من الزملاء الذين لعبوا دورا هاما لتصوير ومعالجة الكثير من الأمور سواء التي تناولتها كناقد ، او تناولوها .. وعقبت عليها ..

وهذه كلها قد لا تسقط دفعة واحدة ، او تتقلص سريعا ، او لا تمحى

ايضا ، ولكن مجرد الاشارة اليها كاف لاعطاء الصورة التى تبعث على التأمل والتفكير ، وليس شرطا ان تكون محل اقتناع من الجميع .. يكفى ان يدور حولها حوار يعطيها حجمها الطبيعى ، لأن من هذه العادات ما ينبغى فعلا ان يوضع له حد ولو نسبى للحيلولة دون اتخاذها قاعدة مترسبة لايمكن أو لايجوز التخفيف منها .





عبد الله الجفرى

تقديم

■ الكتب « التوثيقية » التى صدرت حتى الآن عن مسيرة « الصحافة » المحلية فى بلادنا .. ماتزال نسبتها محدودة فى الكم ، وغير شاملة ، ولا دارسة ، ولا مؤرخة فى « الكيف » .. بمعنى : أن هذا البضع من الكتب التى تؤرخ لمشوار الصحافة فى بلادنا ، لايوفر المعلومات المستوفية للدارس فى الجامعة .. ممن يبحث عن مراجع ، ووثائق لرسالته الجامعية ، او لتدوين هذه المسيرة للخدمة الصحافية .. منذ بدء ظهور اول صحيفة وحتى اليوم !

ولكن هناك بعض المؤلفات « النزر » .. وهى فى مضمونها تروى مرحلة ، او لونا ، أو جهدا فرديا .. مثل كتاب استاذنا « عثمان حافظ » الذى دوّن فيه مشوار الكلمة الصحافية لصحيفة « المدينة المنورة » .. فهى كتب اهتمت ، واعتنت بالتركيز على السيرة الذاتية لعلم من اعلام الصحافة ، أو لصحيفة معينة .. بينما المطلوب لمكتبتنا ان تضم مرجعا وثائقيا ، تاريخيا شاملا .. يحكى مسيرة الصحافة ، وتطورها وانتشارها ، وتقدمها .. حتى المستوى الذى بلغته فى مجال التكنيك الصحافى ، والوسائل العصرية المتطورة !

ايضا .. لقد كنا نتلفت بتفاؤل وترقب الى طلائع شباب هذا البلد ، ممن درسوا الصحافة علما ، وفنا ، وتخصصا جامعيا ، وتخرج ليسهم

بعلمه وثقافته ، ويحقق مأمل التطوير ، والممارسة العلمية القائمة على العلم والتخصص .. وبالتالى ، فان النظرة إلى أولئك الطلائع ، كانت تتطلع الى قيام دارس منهم ، لينكب على تجميع مراحل ذلك التاريخ المنطلق بمسيرة الصحافة المحلية ، واصدار كتاب شامل كمرجع متكامل مستوف .. يلم بتلك المراحل ، ويدون هذه القفزات ، ويؤرخ لمشوار الكلمة الصحافية ، ولكل فارس فيها .. أعطى عرقه وشبابه وأعصابه لحبر المطابع ، وللجرى وراء السبق الصحافى ، ولتطوير الصناعة الصحافية فى بلادنا !

واحسب أن ذلك العرق الغزير الذى انداح بغبطة واصرار ، يستحق أن نؤرخه لنحفظ للاجيال القادمة تاريخ الكلمة عموما ، وخاصة وأن الكلمة الى وقت قريب .. لم تكن لها وسائل النشر ، والتعميم الا عبر الصحافة ، وان نحفظ للاجيال ونقدم لها معاناة جيل رائد وعصامى .. كان ينحت الصخر ، « ويزين الخشبة لتبقى عجبة » بامكانيات محدودة متواضعة فى مجال التكنيك والصناعة الصحافية !

غير ان المؤسف - كحصيلة لذلك التفاؤل القديم بطلائع الدارسين للصحافة - أن أكثر أولئك المتخصصين من دارسى العلم والفن الصحافى .. قد تركوا مواقعهم الحقيقية ، وهجروا الصحافة - علمهم ودراستهم - واتجهوا الى مناحى متعددة ، وبعيدة تماما عن عطاء التخصص !

وبقى فى الصحافة فريقان :

■ الفريق الاول : ويتمثل فى أولئك الرواد ، نحّات الصخر ، والقافزين فوق معاناة امكانات الصحافة المتواضعة .. أولئك الأوائل ، الشيوخ ، الذين جذبتهم الصحافة الى وهجها ونارها كالفراشات الملونة .. فأصبحت الصحافة قدرهم ، ومصدر رزقهم ، ونكهة حياتهم ، ومذاق عرقهم ومعاناتهم ونجاحهم !

□ والفريق الآخر : ويتمثل فى « الهواة من الشباب الذين استهوتهم لعبة المتاعب ، واغرتهم ادعاءات الشهرة ، وخطفهم بريق الكلمة .. ولكن التصفية التى قامت بها متاعب العمل الصحافى ، لم تبق الا على

نسبة ضئيلة منهم .. أصبحوا اليوم فرسانا ، ودفعهم الطموح الى تحقيق مكاسب التطور التى تشهدها صحافتنا اليوم .

***

■ ويختال امامى الآن - من خلال سطور هذا الكتاب الذى خصنى بقراءته قبل الناس - أستاذنا الصحافى الكبير والفعال والمثمر فى حقل الكلمة الصحافية : حسن عبد الحى قزاز .

انه واحد من ذلك الفريق الأول .. من الرواد ، وناحتى الصخر ، والقافزين فوق المعاناة ،

انه - أيضا - يعتبر احد رموز الصحافة المحلية .. وصاحب « وشم » دقه جهده ، وتطويره على وجه الصحافة المحلية .

انه - ثالثا - الفارس الذى استطاع ان يدخل الصحافة ، او الفن الصحافى الى اسلوب العمل والخدمة فى صحافة يومية .. تهتم بالخبر الجديد ، والخبطة الصحافية ، والسبق الصحافى ، والريبورتاج الميدانى .. بعد أن استمرت الخدمة الصحافية محصورة فى « الرأى » كمقال ، أو قصة ، أو قصيدة .

وقبل أن أبدأ فى كتابة هذه المقدمة .. حرصت على قراءة فصول هذا الكتاب ، ووقفت عند كل « مشوار » صوره ، وحكاه ، من مشاوير حياته مع الكلمة .

وأحسست أن سطوره امتزجت بمشاعرى كخفقة ، وكنبضة ، وكالتفاتة من الصعب اسقاطها ، أو تجاوزها ، أو اهمالها .. ذلك أننى عايشت مع « الأب » حسن قزاز جوانب من تلك المواقف ، وان لم اعايش مواقفه الكبيرة والحرجة والمؤثرة فى العمق .. لكننى كنت ارقب خطواته ، واستهدى بها ومنها ، واستمد حوافز لخطوات طموحى فى خوض مشاكل ومغريات ومواقف العمل الصحافى .

ولقد استطاع « حسن قزاز » أن يبلور قلمه ، ويجعله فى وصف وكتابة كثير من تلك المواقف التى يرويها ضمن فصول هذا الكتاب .. وكأنه

« كاميرا » حساسة ملونة .. فهو قد سجل بأمانة ودقة « تفاصيل » هذه المرحلة من تاريخ صحافتنا المحلية ، عبر اضطلاعه بمسئولية الصحافى التى عشقها وتولع بها حتى تحولت فى عمره الى قدر !

ولاشك أن ما صوره « حسن قزاز » يمثل فترة هامة من مراحل الصحافة المحلية وان كان قد تحدث من داخل حدوده الذاتية ، وامتلاكه لصحيفة « عرفات » و « البلاد » بما يعنى انه يسجل ما يشبه « المذكرات الشخصية » أو السيرة الذاتية التى المحت اليها فى بداية هذه المقدمة .

فالاستاذ « حسن قزاز » لم يسجل فى هذا الكتاب شمولية التاريخ الصحافى فى بلادنا ، ولكنة كتب عن تجربة عمره الحافل مع الصحافة ، ومواقفها .. ولكن هذه التجربة مرتبطة - بالضرورة - بملامح المسيرة الصحافية الشاملة عندنا ، ومرتبطة بأحداث ومواقف تعرضت لها الصحافة المحلية وأثرت فيها وتأثرت بها .. وهذه الأحداث والمواقف انعكست بالفعل على مشوار الكلمة الصحافية ، وحتى الآن !

فهى - اذن - أحداث ومواقف .. من الصعب تجاوزها عندما نريد أن نؤرخ لمسيرة الصحافة ..

وهى - أيضا - أحداث ومواقف .. تمثل للدارس الصحافى معالم وملامح تصلح تعريفا ، وتكون مطلبا فى مجال تقويم الخطوات المتلاحقة التى خطتها صحافتنا حتى وصلت الى هذا المستوى من الخدمة والامكانات الصحافية !

***

■ ثم اصل بعد ذلك الى عطاء ، ودور « حسن قزاز » فى مشواره الصحافى مع الكلمة والخبر .

وأقول : إن « حسن قزاز » هو تاريخ صحافى بلا شك .. أوجد فى الصحافة المحلية « أوليات » مرتبطة باسمه ، وبفعله .. أحسب انها تحولت الى قاعدة فى التعامل الصحافى هنا الى اليوم .

وأقول : إن « حسن قزاز » .. بدأ الخطوات الاولى لتحقيق حلم العشق الصحافى لدينا .. فلقد كانت الصحافة العربية المتطورة من

حولنا ممثلة فى الصحافة المصرية التى كانت فى ذلك اليوم : قمة فى الأداء والعمل والخدمة الصحافية ، وكانت مدرسة يتتلمذ عليها الدارسون والعشاق للصحافة ، والهواة . وكانت الصحافة المتطورة - بعد مصر - هى الصحافة اللبنانية التى اوجدت لها سوقا فى العالم العربى . وغيرهما لم يكن لأى من الدول العربية مجال للمنافسة أو الانتشار ، فكلها صحافات اقليمية محدودة داخل قطرها .. ولكننا كنا نتعلم الصناعة الصحافية ، والفن الصحافى مما يرد الينا من الصحف المصرية المتعددة .

فى تلك الفترة كان هاجس « حسن قزاز » أن يطلع فى بلده بصحيفة تؤدى الخدمة الصحافية الفعلية .. كدور تقوم به الصحافة فى كل مجتمع ينهض بأمانيه وأحلامه الى حدود العمل والانتاج .

ولم تكن لديه فى ذلك الوقت الامكانات المادية المتوفرة التى تمكنه من توفير المكائن الحديثة فى الطباعة والصف . ولم يكن معه المؤهلون والمتخصصون فى فن الاخراج - الماكيت - ولم يكن معه الكفاءة الصحافية التى تتحرك ميدانيا لتغطية الخبر والحادث والانجاز والمشروع .

واستعان بكفاءات مؤهلة من الخارج .. مع حرصه وتأكيده على افساح المجال لشباب مواطن يتعلم ويحذق الفن الصحافى ، ولعلنى كنت واحدا من اولئك الشباب الذين كانوا « يرعصون » فى تلك الفترة ليتعلم ، وليلتقط مهارة فنية ، وخبرة .. فتعلمت فى نطاق عملى بصحيفة « البلاد » على يد استاذ « الماكيت » الصحافى المصرى « اسماعيل محمود » كيف ارسم الماكيت ، واقدر مساحة الخبر والمقال بالمسطرة !

هذه فرصة .. افسحها لى « حسن قزاز » ومن بعده « محمد حسين زيدان » فى داخل معمل صحيفة « البلاد » الصحافى . وتعلمنا الكثير .. حتى « فن الخط العربى » مارسناه فى ظروف اضراب الفنيين والصحافيين المصريين عن العمل بسبب أزمة سياسية آنذاك ، فاكتشفنا يومها أن « عبدالله عمر خياط » خطاط بارع ، وان « حسن

قزاز » يعرف طريقة صف الحروف بـ « اللينوتايب » !

تلك هى مقولة : المحن تعلم الرجال .. ولكن .. « حسن قزاز » لم يترك شيئا فى الصحافة لم يسأل عنه ، ويتعرف عليه ، ويمارسه !

غير أن الفوائد الأهم التى أعطاها « حسن قزاز » فكأنه كان يصنع جيلا صحافيا ، ويرسى قاعدة لنوع متمرس وحاذق ومجرب من العمل الصحافى .. تلك الفوائد يمكن تلخيصها فى قواعد ثبتت ورسخت ، فكان من اهمها :

■ أولا : أعطى للخبر الصحافى اهتماما مركزا ومعنيا به ، فأوجد لأول مرة : خدمة الخبر الصحافى ، بعد ان كانت الصحافة فى مضمونها ، تقوم على المقال ، أو الرأى .

■ ثانيا : ولايجاد فعالية ونجاح واستمرارية الخبر الصحافى الجديد و« الطازج » افتتح لأول مرة ايضا : مكاتب للصحيفة فى مدن المملكة الكبرى والهامة ، وحاول ان يستخلص لادارتها شبابا مؤهلا ومتخصصا ليمد الصحيفة بالخبر ، ولتكون للصحيفة مصادر اخبارية متعددة تغذيها بالجديد الذى اقبل عليه القراء ، واعتبروه حدثا فى الخدمة الصحافية المحلية .

■ ثالثا : زود جهاز الصحيفة بكفاءات دارسة ، وغذى فى الشباب السعودى العامل معه روح البحث عن الخبر ، وعن السبق الصحافى ، فكان يدفع مكافأة زيادة على المرتب الشهرى لكل صحافى شاب يحصل على خبر جديد ، فيه السبق الصحافى ، وذلك ليشجعه على البحث المستمر والعمل الميدانى .

■ رابعا : وظف الصورة واللقطة الخبرية من اجل الارتقاء بالخدمة الصحافية .. فاصبح القارىء يجد الجديد كل صباح .. سواء مما يحدث فى بلده أو فى العالم .

■ خامسا : رصد مكافآت مجزية للكتاب الذين يتفق معهم على الكتابة فى صحيفته ، وقد توفر له أن يستقطب أبرز الكتاب وأحبهم الى وجدان وعقل القارىء .. فأوجد روح الحوار مع الرأى وبجانب الخبر الجديد .

□ سادسا : لم يعـرف عنه طيلة تعـامله مع الكتـاب الذين حشدهم للكتابة فى صحيفته ان شطب عبارة لكاتب ، او حذف فقرة من مقال .. بل كان يأخذ بمبدأ حـرية الرأى فى الحـدود الموضـوعية ، والبعـد عن التجديف والافتئات . وقد كان يردد على مسـامعنا فى تعـاملنا معـه ، قوله :

- « حينما تكون فى موضع المسؤولية .. فلا بد ان تضع نصب عينيك المصلحة العامة اولا ، وان تحرص على اثبات الحقيقة والحق بدون ان تخادع او تدعى .. ولحظتها لن يقدر احد ان ينال منك او يدينك » !!

***

فـان كانت « قفلة » مشـوار الصحـافى الرائـد والمـؤسس « حسن عبدالحى قزاز » قد استقرت به أخيرا فى مصنع للطوب ، أو كما قال له الدكتور محمد سعيد العوضى - المحامى المعروف - بعد التوقيع على عقد انشاء مصنع عرفات للطوب الأحمر والمواسير الفخارية : « لقـد تحولت من صانع كلمة .. الى صانع طوب » .. فانني لا اعتقد أنه بهذا المستقر قد خسر .. فهو قد استهوى صناعة الطوب بنوعيه :

فالكلمة فى عطائها .. هى « طوبة » تبنى عقل ومفاهيم الانسان .

والطوبة فى عطائها .. هى « كلمة » الارادة التى تبنى مجتمع وسكن الانسان ..

فالمشوار الطويل مع الكلمة .. قد اثمر بناء شامخا ، لا أحسب أن « حسن قزاز » قد تهاوى فى داخله .. بقدر ما يمثل هذا المشوار فى حياة كـل صحافى ، وكـاتب : حصيلة العمر من المحبـة بين النـاس ، ومن الانتماء للارض وللوطن ، ومن القناعة الغامرة التى يستريح الانسان فى ذكرياتها الطويلة الماتعة .. استراحـة الضمير الهـادىء الذى لمس واحس بالرضا التام ، وهو يشاهد على البعد : أعلى ناطحة سحاب .. وليست هناك ناطحة سحاب اعلى من الكلمة الصادقة والصديقة !!.



« مشواري مع الكلمة ...١ »

قد لايكون بوسع الانسان ان يسترجع ذكرياته - كماض - منذ ولادته .. حتى الأسم الذى يطلق عليه لايملك حق النقاش فى كيفية اختياره ..

لأنه قد لايعى ماكان يدور حوله حتى الفطام ..

وبعد هذه المرحلة يخيل له أن الرؤى والصور والتصرفات تبدو كالخيال .. أو كأنها السراب تمر على مخيلته فلايستطيع تذكر ملامحها حتى بعد ساعة من حدوثها .. أو رؤيتها .. وربما حتى السادسة من عمره ..

ولا أظننى الا أحد البلايين من البشر الذين خلقوا على وجه الأرض .. ليشارك ، أو يزاحم أتران العيش فى هذه الحياة كما أرادها الله سبحانه جل شأنه ..

ولعل الأبوين أقدر على اعطاء صور ما ، عما كان يعيش كل فرد منا حتى بلوغ سن المراهقة ومابعدها ..

حتى هذه الصور، وهى فى شكل قصص تحكى قد ينساها الانسان مع الزمن ، أما لقصور عن التخيل الدائم لها.. أو لأنها

عبرت دون ان تحدث اثرا بينا وظاهرا فى الجسم او الاعضاء .. بيد انها من حيث السلوك العام .. ربما كان لها تأثير فى التصرفات الخاصة او العامة فيما بعد .. ثم نمت وترعرعت بحكم التأثير المنزلى او السلوك الأبوى .. او نتيجة الاحتكاك مع أولاد الحارة أو الآخرين كالخدم .. ومن الأقربين ومن فى حكمهم ..

وهذه كلها قد تنعكس على ذاكرة الانسان .. لكنه لا يستطيع أن يحدد مفاهيمها بشكل مركز وواضح ..

انسان ينشأ وديعا وهادئا .. وآخر منطويا .. واخرون تراهم في ظاهر الحال على عكس مايبدو عليهم في مختلف التصرفات على أشكالها وألوانها .. وماقد تنتهي اليه بخيرها وشرها ..

وتلك سنة الله في خلقه ..

الا أن للمنزل منذ التدرج النسبي والتربية والتوجيه دخل كبير في نشأة الانسان وسلوكه العام ..

ولا أظنني في حاجة الى الخوض في ضرب الامثلة .. ولو فعلت لدخلت في متاهات لا قبل لي بها .. ثم لا ضرورة لابدائها حتى ولو شئت .. لأن بوسع من هذا طلابه ان يرجع الى متون الكتب والمؤلفات ليأخذ أو ليستعرض منها ماشاء ..

ومن الطريف حقا ان يصيخ ـ اي منا ـ سمعه عندما يجد انسانا يحدثه عن طفولته .. وعن المقالب البريئة التي كان يدبرها ضد أصدقائه وأصدقاء أبيه ..

انه حتما يشعر بلذة تغمره فيستزيد من سماع مثل هذه الحكايات .. ليعيش ـ ولو لحظات ـ في خيال لذيذ ..

ولاشك اننا جميعا قد سمعنا هذه القصص من أصدقاء وصديقات الوالدين عندما بلغنا سن العاشرة ومابعدها .. وطربنا منها لدرجة قد تهفو نفوسنا معها لمعاودة تلك التصرفات .. لكنها لن تكون بنفس براءة الطفولة على اي نحو كان .. ذلك لأن طابع التحايل الذكي ، او حتى الغبي ، قد يطرأ او يرقى عليها ماقد يحيليها الى مايشبه الايذاء ..

وقد يحن احدنا احيانا بشغف الى الماضي .. لكنه لا يدري ، ولا يذكر .. اي نوع من البراءة كان يعيشها .. حتى يستعيد ذكرياتها .. ومن هنا كان الحنين او الشغف اليها كما قد أظن ..

وبرغم تصرفاتنا البريئة تلك ..إلا أن بعضا منها كان يعرضنا للضرب سواءا في البيت او في المدرسة او في الشارع ..

في البيت عندما تندلق كاسات المياه أو فناجين الشاي أو صحن او أي شيء قابل للكسر او التلف .. او ايذاء من هم اصغر منا .. ومئات التصرفات التي تمارس يوميا دون تفكير لادراك ماتسفر عنه ..

وفى المدرسة : عندما نتضاحك بدون داع او سبب .. او نتمازح بالاكف والاقدام .. او الاهمال فى المذاكرة .. او عند ظهور تمزق فى احد الكتب الدراسية .. فهذه كلها او بعضها تعرضنا للضرب او التوبيخ .. ان فشل التنبيه بالحسنى ..

وفى الشارع : عندما يصاب احد المارين بحجر .. او كرة شراب .. او بما قد يكون فى أيدينا نتلاعب به .. فنضرب بكف او كفين حسب حجم الاصابة واثرها .. وبعض هؤلاء لا يكتفون بضربنا .. بل يذهبون الى آبائنا .. يبثونهم الشكوى من افعالنا فنتعرض لعلقتين بدلا من علقة واحدة ..

ورغم هذا نعود لنفس التصرفات غير عابئين لا للاكف ولا للعصا .. رغم التحسب لها ..

ومازلت اذكر نفسى فى سن العاشرة او الحادية عشرة ومن زملائى فى المدرسة بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة .. صديق جمال حريرى ، احمد محمود أبار ، وعلى لنقا حفظهم الله وخالد عبدالله الفضل رحمه الله ومن لا اذكر اسماءهم الآن .. كانت الدراسة فى مدارس الفلاح بمكة المكرمة لا تنتهى الا بعد اداء صلاة العصر فيها .. وكانت المدارس فى عمارتين من عمارات على باشا احد ولاة مكة السابقين .. فى محلة القشاشية مما يلى المسعى شرقا .. وكان المسجد الحرام على قيد خطوات منها .. وقد هدمت مع ماهدم لتوسعة المسجد الحرام فى اواخر الستينات الهجرية ..

كان بعض الأفارقة يفدون الى البلاد مشيا على الاقدام .. ولمدة عامين ـ عبر السودان ـ حتى قيل بان من كان تصحبه زوجته كان يأتيها المخاض فى الطريق لتنجب طفلا ..

من هؤلاء الافارقة من كان يتخذ من أروقة المسجد الحرام مرقدا له بعد اداء صلاة الظهر حتى اذان العصر .. وكنا نذهب الى هناك اثناء استراحة مابعد الظهر ..

وتفتقت حيلنا ـ فى سبيل الايذاء ـ البرىء طبعا .. عن اننا كنا نأتى بغراء الجلود السائل وبأى عود كبريت نغمسه فى الغراء فنمرره بين

أجفان النائمين ثم ننتظر قليلا .. وقد كتمنا انفاسنا لئلا نضحك فينفضح امرنا ..

واذا مادركنا ان الغراء قد جف تماما .. أتينا بقراطيس من الورق .. ثم نقوم بتثبيتها على اقدامهم بقليل من الغراء .. فنشعلها بعود من الكبريت فاذا ماحسوا بحرارة لهيب الورق قاموا مذعورين .. وتصوروا اعينهم وقد اغلقت بفعل الغراء .. اى موقف كانوا فيه .. انه منظر لا يدعو للضحك والاغراق فيه فحسب .. بل يدعو للرثاء ايضا ..

لكن اين كنا نحن ، وهذا الذى يدعونه رثاء ..؟؟

وبعد أيام حاولنا معاودة اللعبة ايضا .. لكن الحذر كان قد ركبهم .. وبطريقة خفية من ضمنها « التظاهر بالنوم » اصطادوا أحدنا .. ولم يفلت من أيديهم الا بعد ان طحنوه ضربا بالأكف الغليظة وكأنها السياط ..

وتبنا الى الله .. ولم نعد لذات المحاولة اطلاقا .. اذ كانت علقة صاحبنا خير رادع لنا ..

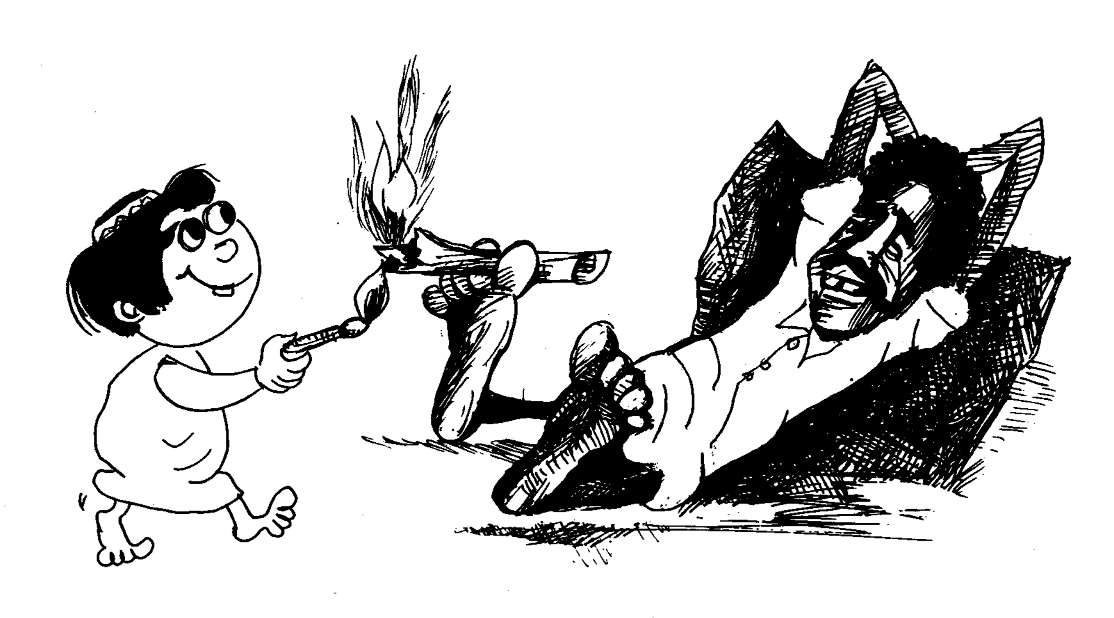
ان هذه التصرفات ـ رغم انها عفوية ـ وتصدر عن فراغ ـ مع انعدام الشعور بالمسؤلية .. إلا انها كانت ذات سمات تعطى تصورا كاملا عما كان عليه طلبة مدارس الفلاح قبل نحو ٥٠ عاما .. فبرغم انها كانت ـ اى التصرفات ـ ذكية وواعية .. الا ان البراءة فى ممارستها كانت تضفى عليها مظاهر الاعجاب للحذق والجرأة عند مقارنتها بتصرفات الاخرين ..

وكان اساتذتنا فى مدرسة الفلاح بمكة المكرمة وهم من هم فى ميزان العلم والثقافة والعرفان .. والاحتشام والوقار ..

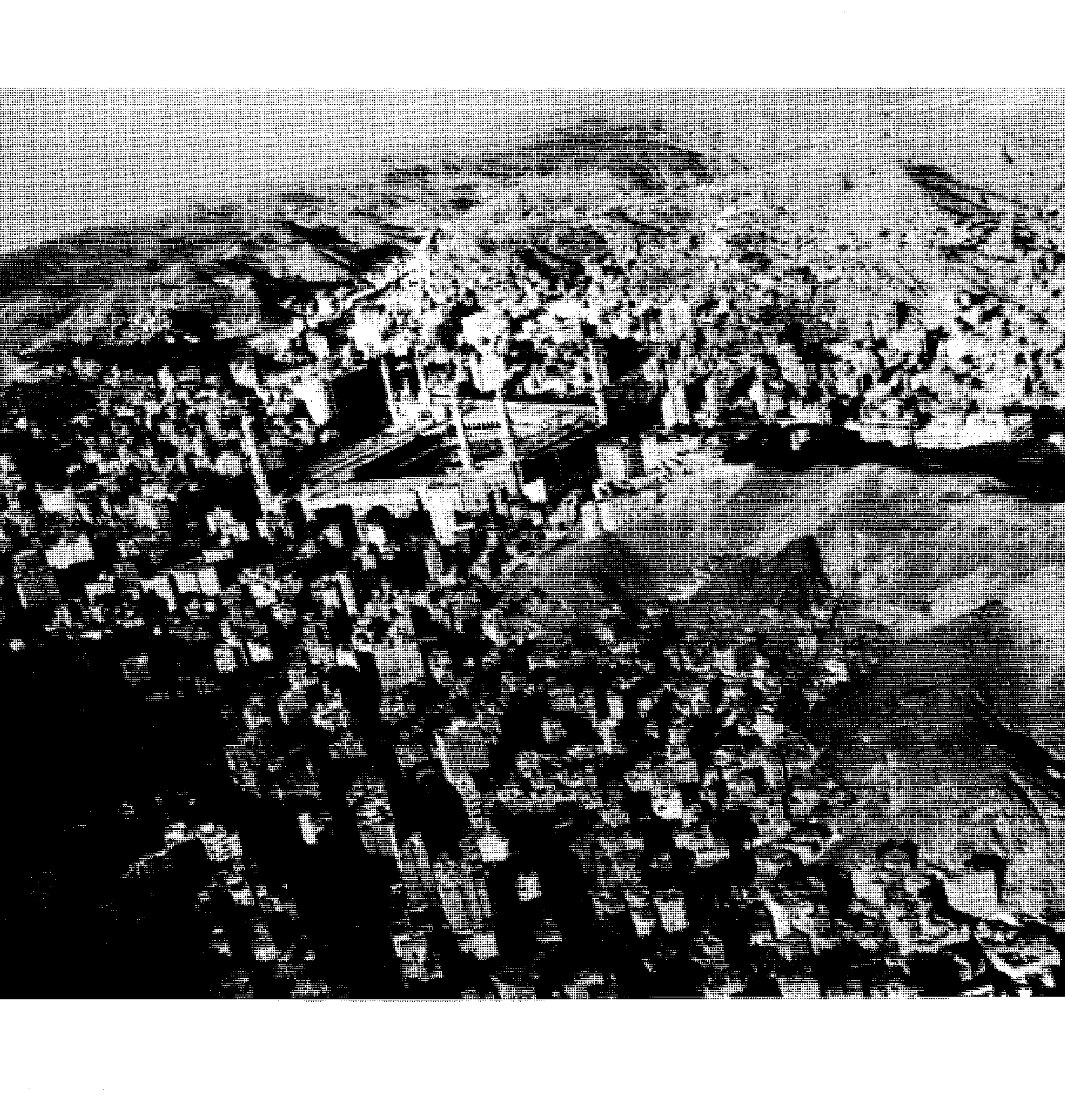
يدركون ان اقبالنا على التزود من منهل المعرفة لا يقل حماسا .. وربما كان اشد من حماس اقبالنا على اللعب والاحاييل التى نؤديها ..

لكن هذا لم يكن ليمنعهم من تأديبنا ـ عند اللزوم ـ بالعصا وقد ربطت اقدامنا فى « الفلكة اياها » ..


دياب




جيب لي يا ولد حبل غسيل
علشان أنشر عليه افكاري
أديب
دياب



ومـازلت اذكر حتى الآن صـوت اساتـذتنا وهم ينـادون « أبـانـا عبدالغنى بنونة » رحمه الله للقيام بتلك المهمة التأديبية .. فقـد كنا نفزع من رؤيته فضلا عن لسع عصاه الخيزران التى يغمسها فى الماء دائما ..

ومع ذلك كنا ننسى فى اليوم التالى .. العصا والفلكة .. وهيئة « أبينا بنونة » رغم تكرار العلقة ودواعيها ..

وتلك ايام خلت لم نعد نسمع عنها فى مدارس اليوم ..

والاساتذة ـ رغم صرامتهم ـ ودواعى الرعب منهم الا ان حبنا لهم ، وتعلقنا بذواتهم المهيبة مازال هذا الحب يغمر قلوبنا .. فندعـو لهم دائما بالرحمة والغفران .. وبطول العمر لمن مازالوا يدبون أحياء وفى مقدمتهم فضيلة السيد اسحق عزوز .. وفضيلة السيد محمد نورى ..

وممن اذكـرهم رحمهم الله جميعا ، واسبـغ عليهم رضوانـه كفاء وجزاء تربيتنا وتثقيفنا ثقافة دينية وادبية وغيرها .

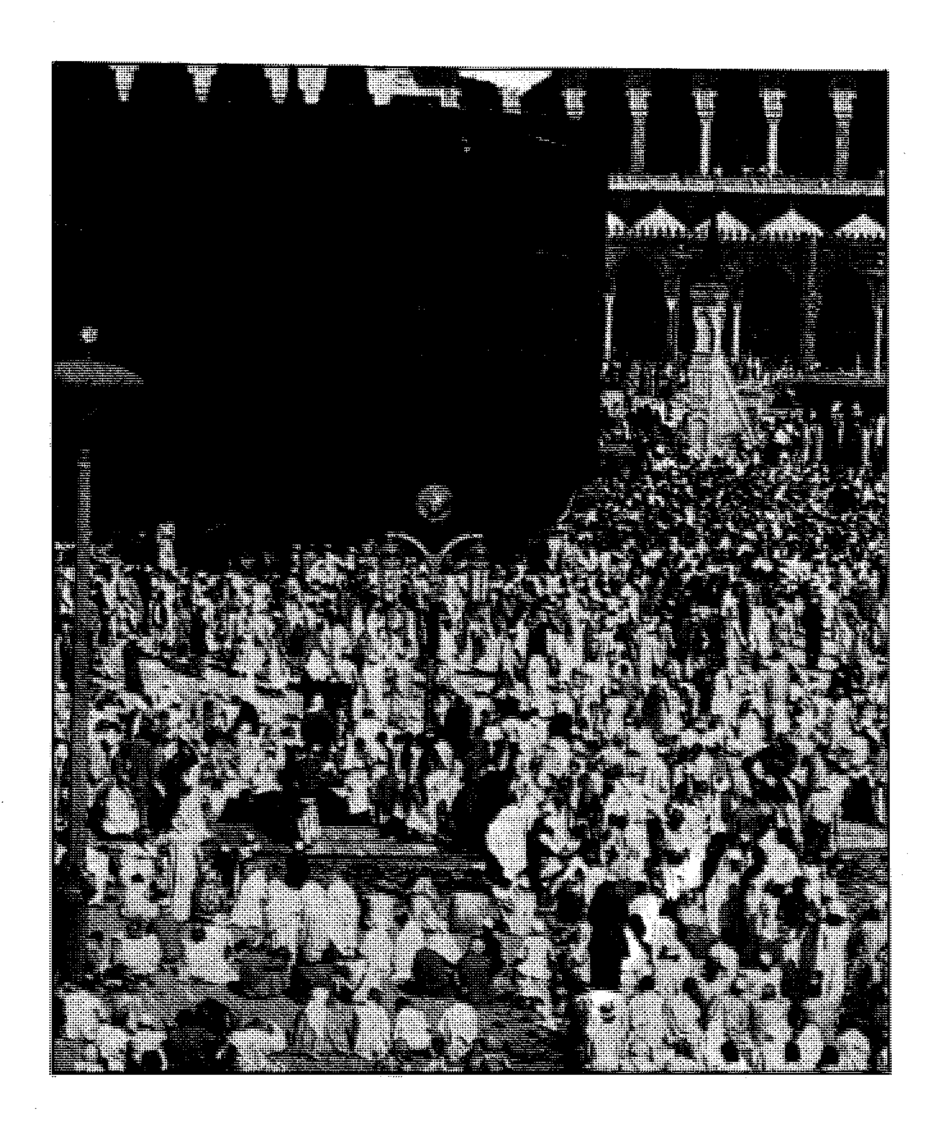
الشيخ عبدالله حمدوه ، وكان الى جانب قيامه بالتـدريس مديـرا للمدرسة فى الاربعينات والخمسينات من القرن الرابع عشر .. والشيخ محمد الطيب المراكشى والشيخ يحيى أمان .. والشيخ عيسى رواس ، والشيـخ عمر حمـدان ، والشيخ علوى مـالكى ، والشيـخ ابـراهيم النورى ، والشيخ حامد محمد كعكى ، والسيد طاهر الحبشى ، والسيد زينى كتبى ..

بيد ان الاسترسال فى تاريخ ناصع كهذا لن يعطيه حقـه .. ومازال بصمات هؤلاء الافذاذ من عطائهم له طابعه المميز فى كثير من المحافل التربوية والعلمية والثقافية .. كما وان المجموعات التى تخرجت من مدارس الفلاح ستظل بصماتها واضحة المعالم فى مجموع دور العلم والادارات الحكـوميـة والاهليـة وغيـرهـا والمـؤسسـات التجـاريـة والصناعية على اختلافها .. بالاضافة الى الذين تخرجوا من المعـاهد والمدارس التى انشئت فى اواخر الخمسينات فيما أذكر .. وكم تمنيت ان يكون من المناسب ان اورد بعض ملامح هذا التاريخ كمنهج نفتقد بعض عناصره فى هذه الأيام رغم اهميته وخطورته .. الا انه لن يكون بوسعى

اعطاء هذا التـاريخ حقـه من الشمول او التغـطية الكـاملة لتاريـخ موضوعه « مدارس الفلاح في الحجاز » تفصيلا واجمالا ..

ولا ادرى ان كان بوسع الشيخ احمد يوسف زينل وهو جزء من هذا التاريخ ان يقوم بهذه المهمة التاريخية كحدث فريد لم يتكرر على وجه العموم ..

« فتلك أمة لها ماكسبت »



بعد التخرج ..

ان الانتقال بسرعة الى هذه المرحلة من حياتى هو بمثابة التجاوز عن كثير من التفاصيل التى عشتها كطالب زخرت مواقفه بما تزخر به حياة اى طالب فى ذلك العهد ، وغيره من العهود كما قد يلوح ..

ثم لا أحسبنى الا واحدا من عدة ألوف تخرجوا من صرح علمى مازالت آثاره وملامحه تغمر العقل والقلب معا بكل عطائه القوى المتين ..

وقد يكون العيش تحت غمامة هذا الشعور من أجمل المتع التذكارية على اى نحو كان ..

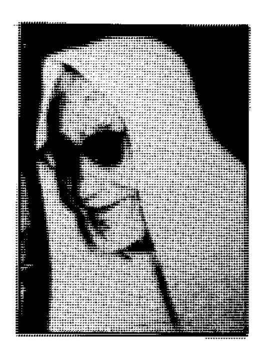
ولو اننى لم اكمل دراستى الى اخر المراحل الدراسية فى هذا الصرح العتيد .. الامر الذى افقدنى أهم المقومات الدراسية .. الا أننى مازلت اشعر بأن تحصيلى كان عنصرا هاما لاستمرارى فى التحصيل الثقافى بشكل عام ..

اذ كثيرا ماكنت ارتاد مجالس العلماء فى المسجد الحرام .. وفى منازلهم .. وقد كان آباؤنا يحرصون على أن تكون ثقافتنا الدينية هى الأساس فى تقويمنا السلوكى بصفة عامة ..

وهذا لعمرى هو المطلب الذى ينبغى تحقيقه سواء فى الماضى او الحاضر او المستقبل ..

ولا خير فى انسان لا يعرف فى دنياه أمور دينه كما يجب ان تكون عليه المعرفة المتعمقة .. لان الحياة .. ومانعيشه فى هذا الخضم الكبير وبكل الصراعات المستجدة علينا فيها .. قد يقينا الانزلاق فى سلوكنا وتعاملنا كأفراد وجماعات ..




عبدالحي قزاز


فؤاد شفيق فاضل


عابد عبدالحى قزاز

فى عام ١٣٥٧هـ وفى شهر ذى القعدة استدعانى والدى طيب الله ثراه - بعد أن اختمرت عنده فكرة اقترانى بعروس تحفظ نصف دينى - كما يقولون - فصحبته مع اخى الوحيد عابد عبدالحى قزاز - رحمه الله - وكان يكبرنى بحوالى خمسة عشر عاما .. الى منـزل الوالد المرحـوم السيد صالح شطا .. والذى افتقدنا جرأته فى الحق الصراح .. وكان يسكن فى منتصف جبل هندى - بمكة المكرمة - حيث كانت العروس فى دار أبيها العم فؤاد شفيق فاضل - رحمه الله - المواجه مباشرة لدار السيد صالح شطا .. والذى رشح لى ابنته بعد فشل خطوبة سابقة ..


السيد صالح شطا

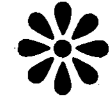
وكانت تصغرنى بحوالى اربع سنوات - وقد كنت فى الثامنة عشرة من عمرى وكنت واخى عابد قد ارتدينا ملابس انيقة تليق بالمناسبة التى كنت لا اعـرف من اهدافهـا الا انها الزواج .. امـا التبعـات .. وامـا ماتقتضيه هذه التبعات والمسؤوليات ثم الانجاب والمستقبل البعيد ..

فذلك لم يكن يخطر على بالى ولا اى تفصيلات علىّ او يمكن ان احمـل همومها على اى نحو كان .. كنت كالذى ينقاد - دون تفكير - الى مجهول لا

يدرى كيف سيواجهه .. ولا اظنني كنت الوحيد ـ على ايامنا تلك ـ الذى يعيش مثل هذه المشاعر التى تختفى ابعادها تحت غمامة الشعور او مافى حكمه بالقضاء والقدر ..

وفى ايامنا تلك ايضا لم نكن نعرف شيئا عن دبلة الخطوبة لأنه كان من غير المباح التعرف على العروس قبل عقد القران ولا بعده الا فى ليلة الزفاف « الدخلة » كما كان المتعارف عليه .. او بحكم العادة المتبعة السائدة .. فقد كان العريس يقبل بالوصف الذى تؤديه أمه أو عمته فى شكل لا يخلو من التمثيل الدراماتيكى المضحك ..

وقد يكون من الطريف ان اسرد قصة عشناها فى عصر ذلك اليوم انا واخى عابد .. فقد كنا على موعد لمشاهدة مباراة فى كرة القدم رتب قيامها وكل اجراءاتها اخى عابد .. فكان لذلك هو المسؤول عن نتائجها .. لكن مفاجأة والدنا بموعد القران على غرة منا ، كانت مصدرا من مصادر الشعور بأن أمرا هاما او موقفا معينا سيفوتنا ادراكه .. وكنت على سذاجة هذا الشعور ـ امام فرحة عقد القران ـ أحمل هموم اخى عابد الذى راح يحوقل ، ويضرب على كفيه بشىء من الأسف المشوب بما قد يحدث من احتمالات فشل المباراة ونتائجها .. غير اننا استطعنا الوصول الى الملعب الذى يقع حاليا بين « حوش المرور بمكة المكرمة » والدكاكين المقامة حاليا أمامه عند مدخل حى الزاهر .. وذلك بفضل تواجد سيارة أحد الوجهاء الذى كان فى طريقه الى جدة صدفة ..



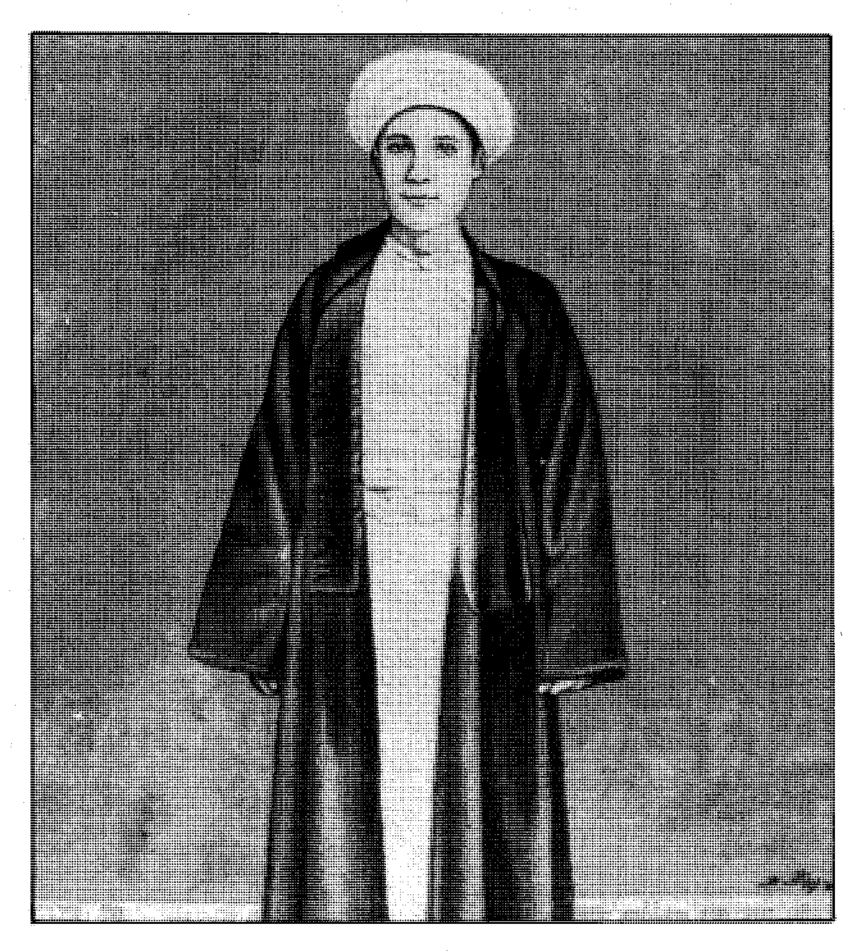
ليلة الزفاف ..!



النصة

وفي العاشر من شهر محرم الحرام عام ١٣٥٨هـ تمت « الزفة » التي أصّرت والدتي رحمها الله وطيب ثراها على أن ألبس لها « الجبة القرمسود » والعمامة المقصبة كما ارتدت زوجتي تلك البدلة المقصبة الهندية الثقيلة في وزنها - والسخيفة في مظهرها - والتي تسمى بالتخشيشة - ولن أنسى قط كيف كان العرق يتصبب من وجهها - الا أنه - والحق يقال - ساعد على التصاق القطع الذهبية « الغوازي » عندما طلب الى طبعها على جبهتها .. كما لا أنسى أبدا الدبابيس التي كان النسوة يغرزنها في أنحاء جسمي عندما كنت واقفا أتأمل عروستي وهي في وضعها الذي لم تكن تحسد عليه .. ولا أظنني الا الوحيد الذي كان يشفق عليها بنظرات لم تخل من البلاهة التي لم يكن يصرفها عني الا الدبابيس التي أسالت نقاطا من الدم على سروالي . (انظر صفحة ٤١)

وتساءلت ليلتها هل هي الغيرة من هؤلاء النسوة . ؟ أم هي من نوع المكائد التي يتقن النساء نصبها في مثل هذه المناسبات والتي ربما كانت من نوع السخسخة من الرجال . ؟



المؤلف بملابس الزفاف

١ - التخشيشة - هى ماتشبه فاعدة توضع على صدر العروس توضع فيها مجموعة من اللائى والجواهر ..
٢ - كرسى النصه : هو الذى تجلس عليه العروس فى صدر المكان المرصع - قطيفه مرصعة بكواكب الفضة - فوقو - هو التاج .
٣ - المقنع : هو شرشف مطرز بالقصب والترتر والتلى يوضع على الرأس وينسدل على الكتفين الى الصدر حول التخشيشه ..
مخدات فضه عدد ٢ على الصدقين فى الصباحية تلبس مايسمى الثوب المصكك .
٤ - قلايد التفاح : تفاح طائفى صغير تعلق على العنق وتصل الى ماتحت الركبة تتخلل قلايد التفاح - خماخم الهيل والقرنفل والترنج ..

ولا تسل عن ساعات الانتظار في جو ملؤه الحر ولدغ البعوض وجلسة القرفصاء التي يقتضيها « الأدب » في حضرة الكبار من المدعوين والعمامة على رأسي والجبة التي تلفني من أعلى كتفي الى أخمص قدمي .. ولا أدري كيف مرت على تلك الساعات وأنا أكتم الغليان بين أناس يتناولون عصير الليمون والشاى وأنا محروم من تناول أى شيء بحكم العادة والتقاليد والتي لم نكن نعرف لها تفسيرا يبرر قيامها أو التقيد بالأخذ بها ، الا أنها ـ فيما يبدو ـ كانت نوعا من حب السيطرة وفرضها على الأبناء من الآباء .. بصرف النظر عن كل المحاسن التي كنا نعيشها في كنف آبائنا وأمهاتنا والتي كانت ميزاتها المثلى أنها تغرس الاحترام في نفوسنا لمن هو أكبر منا وأيا كانت علاقته أو صلة القربى به .. ثم لا ننسى ما حيينا كيف تمت تربيتنا الاجتماعية وعلى النحو الذي نعيشه الآن .. نحترم الكبار ونقدر الرجال .. ونرعى ونتفقد .. ونبذل الحب والايناس للأقربين والأبعدين منا نساءا وأطفالا وبكل الحرص على الوفاء ..

أول وظيفة ..!

وفي اليوم التالي من زفافي التحقت بوظيفة في الشركة العربية للسيارات التي كان والدي ـ رحمه الله ـ مديرا عاما لها « بالانتخاب » وكان رئيس المكتب المباشر هو السيد طاهر الحبشي الذي التحق بها بعد أن كان مدرسا في مدرسة الفلاح بمكة المكرمة ..

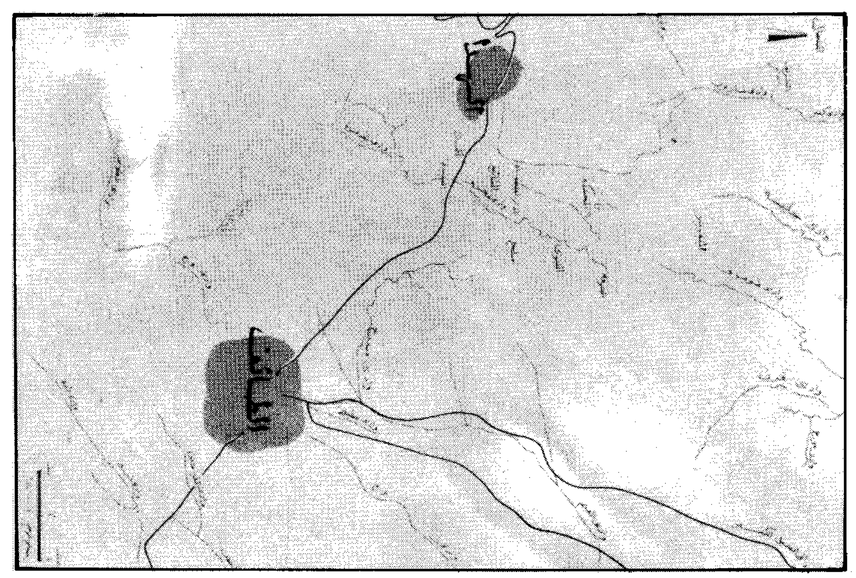

السيد طاهر الحبشي

ولاحظت أن خطابات التبادل بين الشركة وعملائها والادارات الحكومية تكتب بخط يده الجميل .. قياسا الى خطي الرديء .. فأقترحت عليه أن يعمل على ايجاد آلة كاتبة تعهدت له أن أتدرب عليها دون مدرب .. وقد كنت .. ومازلت حتى الآن أضرب عليها

ولكن بأصبع واحدة فقط لا غير ..

حياة الاصطياف ..!

وكان الراتب الذي كنت أتقاضاه لا يتجاوز الثلاثين ريالا عربيا ـ كان من الفضـة اللامعة ـ وظللت أكثـر من سنتـين لا أعـرف في عـلاقتي الوظيفية سوى والدي وأعضاء مجلس الادارة .. مع قضاء معظم أيام السنة في الطائف دون عمل أشغل فيه أوقات فراغي .. كما هو الحال أيامها ـ وحتى الآن ـ فلم تكن توجد مكتبات ولا نوادد ثقافية . أو مافي حكمها .. وان حدث أى تلاق بين فئة وأخرى ترقى الى مستواها فانك تجدني آنس اليها .. فما زلت أذكر زيارات عديدة كان يقوم بها الأستاذ حمزه شحاته ـ رحمه الله ـ الى جـانب مجموعـة من أصدقـاء والدي متباينة في العلم والثقافة وتجارب الحياة وتناولها . إذ كانت تتردد على منزلنا في باب الربع في الطائف لتبادل الأحاديث الوديـة التي لم تكن تخلو من الطرافة والحكمة المستمدة من تجارب الحياة ومعانـاتها .. ولكنها كانت أياما حافلة بمشاعر الألفة والتقديروالاحترام ، كما كانت تحفل بكل معاني التفقد والحنان والحب تتساوق أسبابها في طواعية خيرة ورضى كريم .. الأمر الذي أضفى على كل المجتمعات وعلى أختلافها



أجواء مشبعة بالمرح ومفعمة بالغبطة والحبور .. ولم يكن بوسع أى فرد أن يتخلف عن « بشكته » حتى ولو كان متوعكا ، فهو قد يتحامل للذهاب اليها .. والا فالبشكه كلها تأتي الى منزله لعيادته والبقاء لديه ..

ولا يمر يوم الا وحفل غداء أو عشاء في منزل أحدهم ..

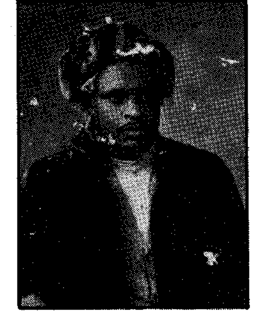
وفي بعض الأيام يتجمع الجمع في بيت أحدهم ثم تأتي الأطباق حسب تنوع طبختهامن منازلهم .. فيتحلقون حول مائدة سداها الأكل ولحمتها المرح البرىء ..

وقد لا يقتصر الحال على مدينة الطائف بل تذهب كل « بشكة » الى وادي محرم أو وادي لية .. أو الهدى .. أو الوهطوالوهيط أو الى غدير البنات والى الشفا .. (راجع الخارطة صفحة ٤٣)

وكانت وسيلة النقل الميسرة هى الحمير .. الا أننا كنا في عصارى كل يوم نذهب من بيوتنا مع بعضنا البعض الى المثناة أو حوايا أوجبل السكارى وماحول بئر عجلان التي كان ماؤها عذبا لا يضاهيه عذوبة ماء (صحة) وأمثالها مما يستورد اليوم ولا نعرف حقيقة نقائه وصفائه ..

وكنا أحيانا نمشي « الهرولة » وهى مشية كتلك التي نمشيها في أداء النسك للعمرة والحج ، أثناء السعي بين نقطتين محددتين مما يلي الصفا في اتجاه المروة وعند العودة أيضا وأسلوبها هو الجري الخفيف على أكف الأرجل دون أن يمس الكعب الأرض-أى على أكف أقدامنا ـ عندما نغادر قبل الفجر للصلاة جماعة في المساجد القريبة من منازلنا ثم نتجمع فننطلق بقيادة الوالد المرحوم « حسن عشي » .. ونعود بعد اشراقة الشمس بقليل وقد اكتسبنا من الحيوية والرغبة في تناول افطار لا تنقصه الدسامة كالفول المدمس بالسمن الأصلي أو المعصوب ـ وهو عبارة عن أقراص من مطحون الدخن والمخلوط خلطا ناعما بالموز والسكر والسمن الأصلي ـ أو المطبق الحلو أو المالح .. وان لم يتيسر أى منها يوميا فالشكشوكة ـ وهي البيض مع الطماطم والكراث والبصل ـ أو العسل الممزوج بالطحينة وهكذا ..


عبدالله السليمان


عباس صيرفى


محمد سرور صبان

حب العمل ..!

وهنا لابد من التوقف قليلا وللتاريخ فان الفضل فى انتقالى من النقـابة العـامة للسيـارات للوزارة يعـود الى اخى المرحوم عابد الذى توطدت العلاقة بينى وبينه منذ ايامنا تلك .. عـلى اسـاس من الفهم العميق لمعنى الاخـوة الصادقة ..

وكثيرا ما كنت أتدخل - لصالحه أحيانا - عند نشوب أية خلافات عائلية كالتى تحدث عادة فى بيت يضم كافة أفراد العائلة بفعل الاحتكاك اليومى ذى الحساسيات التى لا تخلو أية نفس من التأثر بها ..

وكانت له مواقف أدبية معى .. فقد كان له فضل الاختيار لمجموعة من الكتب الأدبية والتاريخية التى أقتنيتها .. كما كان يـطلعنى على ماكان يكتبه من لمحات أدبية رائعة .. الى جـانب مناقشتـه لى لبعض ماكنت أعرضه عليه من مقالات .. ان نتفا من مقالاته كانت تنشرها مجلة المنهل فى تلك الايام ..

وهو الذى شجعنى على الالتحاق بوزارة المـالية .. لما طلبت منه التوسط لى لدى الجهـات المختصة فى الوزارة .. اكتفى بـأن أشار الى بالذهاب شخصيا الى معالى المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان لابداء رغبتى للعمل بمعيته .. فما كان من معاليه وقد كان يتقلد أيامها منصب مدير عام الوزارة الا أن وعدنى بتحقيق أمر الالتحاق - بعد أن يأخذ موافقة والدى على ذلك ..

وبعد يومين كنت فى عداد موظفى مكتبه كناسخ على الآلة الكاتبة ومعقب للمعاملات التى يتطلب العمل التعقيب على أصولها وتجميعها لمعاليه .. الا أن علاقتى المباشرة اليومية كانت مع سعادة الشيخ عباس صيرفى مساعده آنذاك .. والأخ الكريم الشيخ نورى عباس .. وفى الغرفة المجاورة كان سيادة السيد سامى كتبى والاستاذ نجيب صالحة كمترجم عربى - وانجليزى .. والأستاذ محمد ضياء الدين وأظنه الآن من كبار موظفى وزارة الخارجية وفى السلك الديبلوماسى .. ثم تحول الأول والثانى للعمل فى مكتب المعادن والاشغال العامة بجدة .. الا أن نفس الغرفة خصصت للمجلس المالى الذى كان يرأسه سعادة الشيخ محمود شلهوب رحمه الله وعضوية كل رؤساء أقسام وزارة المالية وبسكرتارية سعادة الاستاذ محمد حسين زيدان ..

وبالمناسبة : فان أخى عابد - رحمه الله - كان فى تلك الأيام مسئولا عن أعمال « الشفرة » الخاصة بالوزارة وقد تجوز تسميته بـ« أمين سر الوزارة » وللتاريخ فقد كان ذا طاقة عجيبة على كتمان الاسرار أيا كانت المحاولات والمغريات لافشائها ..

وما زلت أذكر المشادة التى قامت بينه وبين بعض الطامعين عندما قررت وزارة المالية فى تلك الأيام رفع نسبة الضريبة الجمركية على كيس السكر زنة مائة كيلو « جنيها ذهبيا واحدا .. » فقد كان هو الذى تولى صياغة المخابرات السرية بين الوزارة وجلالة الملك عبد العزيز رحمه الله . حتى صدرت موافقته بعد استفسارات عديدة ، كان جلالته حريصا على معرفة أسباب هذه الزيادة ودوافعها حتى اقتنع بجدواها وأهميتها لتحقيق متطلبات الدولة بصفة عامة .. لأن جلالته رحمه الله كان يكره مثل هذه الزيادات التى قد تؤثر على الشعب فى قوته .. وكان موقف أخى عابد هو موقف كاتم السر .. فلقد عاتبه بعضهم على كتمانه لأن فى افشائه له قيام التسابق على شراء الموجود من مخزون السكر وبيعه بسعر أعلى قد يحصل من ورائه على فائدة مالية ذاتية يستفيد منها ..

هكذا كان رحمه الله .. فهل من مبلغى عن جوانب أخرى من سيرته .. الى جانب ما أعرفه عنه ..؟؟

وكان بعضنا يغفو قليلا .. الا أنني بعد أن التحقت بالعمل بمكتب معالي الشيخ محمد سرور الصبان كنت أنتظر العم الشيخ عباس صيرفي مساعده للذهاب سوية الى قصر شبرا ، حيث كان يسكن معالي الشيخ عبدالله السليمان وزير الماليةآنذاك .. وكان قد خصص الادوار السفلية لمكتبه الخاص .. حيث كنا نمارس أعمالنا بعد اشراقة الشمس بقليل حتى قبل الظهر ، ثم نعود الى مكاتب الوزارة « الاصطيافية » لاكمال بقية الدوام حتى مابعد الظهر .. وكان على أن أعطي معلومات عن مكان تواجدي فيما بعد الظهر حتى اذا ما استدعى الأمر حضوري للعمل بعد العصر أو في المساء أو الشخوص الى مكة المكرمة ، يكون بالامكان حضوري فورا للعمل الذي لم يكن ينقطع اطلاقا .. وأيامها لم نكن نتقيد بمواعيد محددة .. بل كان علينا أن نكون جاهزين وللعمل في أى وقت .. وأذكر أنني كنت أقضى أكثر من عشر ساعات يوميا دون أى شعور بالتبرم أو الضيق ، فقد كان حبنا للعمل وحرصنا على أدائه وفي أى وقت أحد دواعي الشعور بالسعادة والازدهاء أيضا .. وقد لا يكون غريبا على أيامنا تلك أن لا نطمع في تعويض مادي ، ربما لأن مطالبنا في تلك الأيام لم تكن كثيرة ولا كبيرة ولا ملحّة ، كما هي الآن .. ولا أدري هل كنا نشعر بأن اداء الواجب هو أكبر من الأطماع المادية .. ؟ أم أن (طاعة الأمر خير من سلوك الأدب) كما يقولون .. أم أن خوفنا من مغبة التخلف عن نداء العمل قد يكون سببا في تخلفنا عن ركب الترقيات والحصول على مراكز ذات شأن كبير ..

قيمة الوقت ..!

هذه كلها لم تكن تخطر في بالي وأنا أدرج في أوائل العشرين عاما من سني عمري .. الا أن أكون جاهزا للعمل ولا شيء غير ذلك ..

ثم أننا على أيامنا تلك كنا نعيش فراغا .. قد لا يقل عن الفراغ الذي يعيشه أمثالنا في هذه الأيام ما عدا ملأه هذه الأيام بالوسائل المتاحة وأبرزها الانفلات بالسيارات .. أو التخشب في مواجهة التلفزيون أو السهرات غير المجدية ..

حتى كبارنا في تلك الأيام كانت أغلب أوقاتهم تقضي في لعبة « الجوكر » عندما يكون الجمع كبيرا .. وبعضهم يمارس لعبة « الكنجفة » الهندية الأصل .. والداما الشبيهة بالشطرنج رغم الفارق الكبير بينهما .. وهكذا .. لدرجة أن الكل يعتبر أن الهدف من هذه الممارسات هو « إضاعة الوقت » وقد أنسحب هذا الشعور على ما نحن فيه الآن فيما عدا الذين يعدون على الأصابع اذ كانوا ينكبون على مطالعة الكتب الأدبية والعلمية وغيرها ، وتداول الأفكار التي كانت ترد على بريد البواخر في شكل مجلات لبنانية ومصرية وسورية وبعض الصحف التي توافينا بأخبار العالم والتي لم تكن تستقطب أى اهتمام كان لأننا كنا في معزل عن العالم الذي كان يغذ السير في درب العلوم والاختراعات والاكتشافات حتى وصل الى ماوصل اليه .. والى ماوصلنا اليه نحن الآن كما نسمع ونرى واقعا ملحوظا ..

ولعل من ضمن الأشياء التي ورثناها عمن سبقونا كما أشرنا انفا ، هو « الفراغ » وبالتالي انعدام المقدرة على استغلال هذا الفراغ .. على ماينبغي أن يكون مفيدا ومثمرا ..

مع الزمن ..!

وتدرجت مع السنين في وظائف أخرى تحريرية ومحاسبية حتى عام ١٣٦٨هـ وفي أواخرها سافرت الى القاهرة لعلاج عيني من « زغللة » كانت تزعجني ـ كما كانت تزعج من كان يظن أن هذه « الزغللة » هى «غمز غزلي » له مغزاه ومعناه . ثم تبين أنه من نوع « الرمد الربيعي » وحتى تاريخه لم أعثر على علاج يريحني منها رغم تقدم الطب وتطوره ..



أول رحلة للخارج ..!

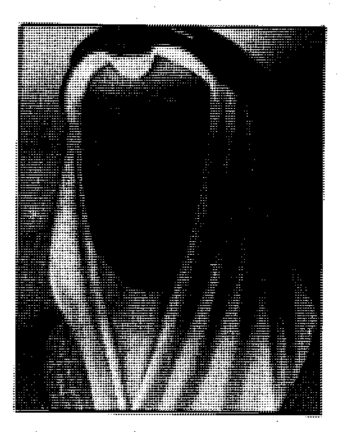
وفي عام ١٩٤٦م (١٣٦٦هـ) أى عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية استطعت بما وفرته من نقود أن اغادر الى القاهرة في اجازة لمدة شهرين .. وكنت أول موظف في الدولة يحصل على أمر اركاب بالطائرة من جدة الى القاهرة على حساب الدولة ، وعلى مساعدة مالية مقدارها مائة جنيه مصري .. وبأمر من صاحب السمو الملكي الأمير منصور بن عبدالعزيز أيام كان نائبا على الحجاز بالنيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز نائب الملك ، والذى سافر للخارج « أمريكا » لحضور أول دورة لهيئة الأمم المتحدة ممثلا لحكومة المملكة العربية السعودية ..



صاحب السمو الملكى الأمير منصور بن عبدالعزيز

وكانت شركة جلاتكي هنكي تمثل احدى شركات الطيران الأنجليزية والتي كانت تسير طائراتها بين جدة ـ القاهرة مرة في الأسبوع ، وعندما ذهبت بأمر الاركاب الموقع من الوالد الشيخ حمد السليمان الحمدان وكيل وزارة المالية ـ رحمه الله ـ الى بيت هنكي ـ كان المرحوم الشيخ أحمد عشماوي هو المهيمن الأول على أعمال هذا البيت الانجليزي التجاري .. فأستقبلني استقبالا حسنا .. الا أنه لم يغفل أن يقدم لي استمارة مطبوعة باللغة الانجليزية فقط .. فهمت من خلاصتها ـ على حد ترجمته ـ أن على الاقرار المسبق بأن مايحدث لي من الطائرة ـ بما في ذلك الموت ـ لا تعتبر شركة الطيران مسئولة عنه أيا كانت الأسباب ،


حمد السليمان الحمدان


احمد عشماوى

ووقعت الاقرار فورا دون تردد .. ودون أى تفكير قد يدخل في روعي أى خوف أو تشاؤم .. كالنوع الذي يبعث على تأمل المستقبل عند الشعور بأن مجرد التوقيع على استمارة كهذه تحمل التبرؤ التام من وقوع مالا تحمد عقباه ثم تقع مسئوليتي عن روحي وحياتي على عاتقي وحدي ..

فوق السحاب ..!

الا أنني وأنا أربط حـزام المقعد في الطائـرة التي لم تكن تضم في أحشائها أكثر من عشرة أشخاص .. أخذت أتلو آيات من القرآن الكريم

حتى أرتفعت الطائرة فوق أطباق السحاب وهي تهتز ربما في خُيَلاء .. كالخُيَلاء التي ركبتني وأنا أتذكر بأنني أول موظف ـ في مرتبة صغيرة ـ في الدولة يطير من بلد الى بلد آخر على حساب الدولة .. في حين أن الآخرين كانوا يحصلون على تذاكر في الدرجتين الأولى أو الثانية على البواخر المصرية مثل تالودى والطائف ومالا أذكر اسمه الآن ..

ولم يكن هذا من باب الغرور ، لكنه على أى حال كان سابقة استغلها الآخرون لدى السلطات العليا ليحصلوا على ماحصلت عليه .. وقد كان .. وشعرت في الطائرة بكثير من المتعة وأنا أشاهد صنع الله من عل على هذه الأرض .. وفي الجو وعلى البحر الأحمر حتى دخلنا في أرض صحراوية قيل لنا أنها صحاري مصر تضم المقطم والأهرامات والأقصر وأنها تحوي معابد الفراعنة ومقابرهم ..

ولما كنت قد قرأت نتفا تاريخية عنها .. وعن مصر بالذات سبحت في مجموعة من الأفكار والأغاني التي كانت ـ تتردد عبر الراديو وفي الكتب التي كانت تصلنا ..



حمزة شحاته

حمزة شحاته ..!

وكان سر اقبالي عليها هو الولع الذي أصابني منذ كان الأستاذ حمزة شحاته ـ رحمه الله ـ .. يغشى مجلس والدي في الطائف بين مجموعات كبيرة من أصدقاء والدي .. فلقد سحرني كلامه .. وأسلوبه في النقاش .. وتعلقت به لدرجة كنت أحرص فيها على الاهتمام بطلباته من

الشــاى والماء البــارد والخدمــات المنزليــة الأخرى لدرجــة أن أحتج الآخرون على هذه الحفاوة التي اختص بها الاستاذ حمزه دون غيره .. ولاحظ هو أن وراء هذه الاهتمامات ولعا بالأدب أهفو اليه .. وسألني في غفلة من الجمع الذي كان منهمكا في لعب « الجوكر والكنجفة » عما اذا كنت أقرأ أى كتب في الأدب وغيرها ..

فقلت : أنني أقرأ لطه حسين والمازني والعقاد وزكي مبارك وغيرهم ، ومجلة الرسالة فبدا عليه الارتياح .. وأراد أن يختبرني عما اذا كنت قد حاولت نقد أى منهم ليطلع عليه .. فأجبته بأن ذلك لم يخطر في بالي .. فحثني على محاولة الكتابة كيفما أتفق .. وسهرت ليلتها حتى الصباح أكتب ما كنت أظن أنه نقد مفيد ..

وفي مساء اليوم التالي دسست ماكتبت في جيبــه خلسة خشيــة أن يراني أحد ممن قد يلمحني فيركبه الفضول لمعرفة ماكتبت وسطرت ..

وكانت المفاجأة المذهلة عندما انتحى أحد جوانب المجلس وأخرج ماكتبته ثم ألقى عليه نظرات سريعة كان قلبي يخفق معها .. وبعد نحو من عشر دقائق أعادها لى مع وعد بالتعليق عليها في رسالة يبعثها الى من جدة حيث قرر العودة اليها بعد ظهر اليوم التالي ..

ومكثت بضعة أيام أنتظر الرسالة على شوق وتلهف ظاهرين ..

وتلقيتهــا .. فضضت الظرف ويــدي تهتــز .. وأخــذت أقــرأ ست صفحات من حجم المتوسط .. بخط جميل رائع ..

وأذكر من هذه الرسالة أنها كانت توضح لي فكرة موجزة عن كل كتاب من الكتب التي تناولتها فيما كنت أحسب أنه نقد لها ..

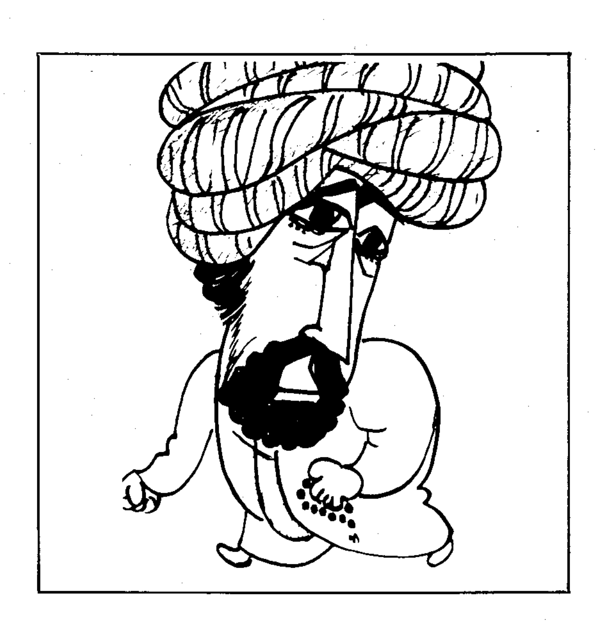
ثم أخذ يشرح لي طريقة النقد ، وكيف يكــون ، ثم أختتم رسالتــه بنصيحة خلاصتها أن استمرار المطالعة مع التأمل والاستغراق هو أهم بكثير من القراءة المتعجلة .

ولذلك لم يكن النقد لما قرأته نابعا عن محاولة جادة كهذه .. وقال : ان الاعتماد على التفكير هو أفضل وسائل النقد ثم تــأتي بعد ذلك مرحلة الاستيعاب لما أقرأ ، ولما أفكر فيه حتى يأتي النقد متساوقا مع أفكار الكاتب وأهدافه ..

هذا الكلام أنقله من الذاكرة ـ فالرسائل كلها لا أدري أين هي الآن ـ أو بالتأكيد فقد فقدتها .. كما فقدت الكثير من أمثالها .. لكن ما نقلته من الذاكرة على لسانه هو جوهر فكرته كما قد أظن ..

وشعرت بأن على أن أبدأ من نقطة الانطلاق هذه .. وعدت أقرأ الكتب مرة أخرى .. وكنت أتخيل كأنه خلفي يراقبني .. وأن تأملاتي كانت تنعكس على مرآة يطالع فيها ما يدور في رأسي ..

عندئذ أدركت أن كل مافهمته مما قرأت كان خواء في خواء ..



حامد محمد كعكي رحمه الله

وبدأت أتلمس المعاني والأفكار والأهداف في كل سطر أقرأه .. ومن حسن حظي ان كان من رواد مجلسنا أحد أساتذتي في مدرسة الفلاح بمكة المكرمه هو الشيخ حامد محمد كعكي رحمه الله .. وقد كان اديبا ذا قدم ثابته الا أنه كان مقلا في الانتاج ، وعزوفا عن الظهور لدرجة الانطواء .. ولم أكن أتردد أبدا في الجلوس الى جانبه كي أسأله عن معنى بعض الأفكار والألفاظ التي أقرأها .. ولم يبخل على قط .. الأمر الذي أعطاني طاقة ذهنية أخذت تتفتح شيئا فشيئا ..

وفكرت يوما أن أكتب شيئا لأعرضه عليه .. وفي اليوم التالي أعاد الى ماكتبت .. ونصحني بالاستمرار في القراءة مع الاستعانة بكتابين أحضرهما لي ، أحدهما كان البيان والتبيين للجاحظ والآخر هو المعلقات السبع .. ومجموعة من كتب تاريخية ، فأنكببت عليها في نهم متزايد .. ثم كانت مفاجأة لي عندما أهداني من لا أتذكر اسمه الآن لطول العهد مجموعة من قصص شرلوك هولمز وأرسين لوبين البوليسية ونصحني بقراءتها ..



عزيز ضياء — طاهر زمخشري — محمد سعيد عبدالمقصود رحمه الله

عبدالله عريف رحمه الله — عبدالسلام ساسي رحمه الله — احمد قنديل رحمه الله

وأدباء آخرون .. !

ثم اتسعت دائرة التلاقي مع المرحوم الأستاذ حمزة شحاته و آخرين هم الأساتذه : أحمد قنديل ، عزيز ضياء ، محمد عمر توفيق ، أحمد ملائكة ، عبدالله عريف ، طاهر زمخشري ، محمد سعيد عبدالمقصود ، عمر عرب وغيرهم في منزلنا بأجياد .. وفي مركاز المسفلة المشهور .. وكنت بينهم مستمعا أكثر مني متحدثا .. وفي المركاز كانت الأحاديث كلها وعلى مدى عدة ساعات تدور في الأدب وفي الشعر وفي الموسيقى

والفنون الشعبية وآدابها .. وكان المرحوم الأستاذ عبدالسلام الساسي رحمه الله أحد رواتها المبرزين بما كان يحمل من ملكة الحفظ .. وسرعة السرد والأداء .. ولأنه كان ظريفا فقد تمكن من استقطاب الناس للاستماع اليه ..

وأخذت انطباعاتي تتبلور .. ومكتبتي تزداد كمية وتنوعا حتى غدت مطمعا للمستعيرين من الكبار والصغار على السواء وكان من الكتب مايعاد الى .. لكن معظمها كان يصادر ..

ثم بدأت أتبادل الرسائل مع الأستاذ المرحوم حمزه شحاته .. مما كان له أحسن الأثر في استقامة أسلوبي الكتابي .. ولو أنني لا أنفى تقليد أسلوبه الكتابي في فترة محاولاتي الأولى ..

وعلى أيامنا تلك صدرت جريدة البلاد السعودية كبديل عن جريدة صوت الحجاز التي احتجبت بسبب قلة الورق وندرة تواجده لأوضاع الحرب العالمية الثانية .. وكان أن اختير سعادة الأستاذ المرحوم عبدالله عريف رئيسا لتحريرها بترشيح من الشيخ محمد سرور الصبان بصفته رئيسا للشركة العربية للطبع والنشر رحمه الله .. وانحاز الجمع الى مقر الجريدة بالشامية ..

اتجاهي للتجارة .. والصحافة ..!

وفي ذلك التاريخ أنصرفت للأعمال التجارية وتعاطيت الاستيراد عبر شركات انجليزية للأقمشة وخلافها ، تعرفت على أصحابها في القاهرة ..

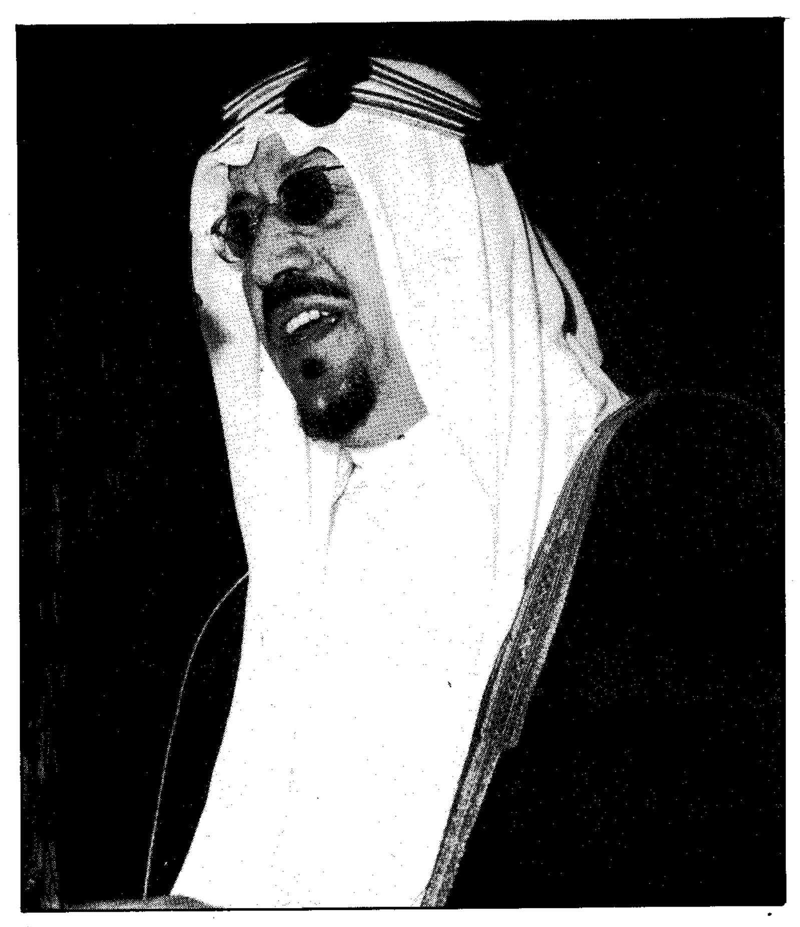
وحققت في العمل التجاري نجاحا لابأس به .. لكنه لم يكن على المستوى الذي يضعني في مصاف كبار التجار .. وفي عام ١٣٧٢هـ ازدهرت لعبة كرة القدم .. فأنسقت اليها بحكم أن بعض رؤساء فريق الوحدة وبعض مشجعيه من سكان القشاشية حارتي التي ولدت فيها ، وترعرعت في أرجائها .. وحضرت احدى مباريات اشبال فريقي الوحدة بمكة والاتحاد بجدة .. وانفعلت بالنتائج التي وصلت اليها هزيمة أشبال الوحدة - فكتبت تعليقا عنها أحدث ضجة لدى الفريقين - وأخذ

التساؤل يزداد اتساعا عن كاتب التعليق .. وعلى أثرها أسند الى الأستاذ العريف اصدار صفحة رياضية أسبوعية في جريدة البلاد السعودية .. واجراء مسابقة رياضية بين فرق كرة القدم لصالح صندوق البر .. الى جانب كتابة مواضيع اجتماعية كنت أنشرها تحت عنوان « على الريق » وعناوين أخرى . ولم آسف على شيء بقدر ما أسفت وحزنت على فقداني ماكنت كتبته ما عدا نزرا يسيرا من هذه المقالات .. كما فقدت تماما كل الرسائل التي تبادلتها مع الأستاذ حمزة شحاته .. مما أعتبره ذخيرة أدبية قد لا تعني القراء كثيرا .. ولكنها على الأقل تعتبر قطعة من فكري ونفسي وخواطري .. وكرت الأيام في انغماس سخيف عشته في جو كروي أضاع على أوقاتا ثمينة .. وأموالا لابأس بها .. الا أنها رغم سخافتها فقد أعطتني أفكارا ومفاهيم وانطباعات عن المجتمعات .. في العشرة .. والمواجهة .. والتصدي .. والمقارعة .. ودقة الملاحظة .. والميل الى التثبت في الأمور التي كنا نعيشها ونمارسها ..

وتفاصيل كثيرة كالتي تمر على الناس بالصواب والخطأ فيها .. والاندفاع والانجراف .. ثم الاعتدال في تناول الأمور بما ينبغي أن تستقر عليه في مفهوم العلاقات بين الناس عموما ..

ولعل من أبرز الأمور التي مازلت أعيش في أحلامها وسأظل ، الاحترام العميق المتبادل بيننا .. ثم الثقة التي كنا نعيش في ظلالها .. والتفقد الدائم لأحوال بعضنا البعض .. والتسامح المتبادل عن أخطائنا التي كانت تبدو وكأنها عفويه لأنها بعيدة عن التجريح والايذاء وماقد يدخل في معناهما وهذه وتلك قد نفتقد بعضها الآن ولكن ليس على نطاق كبير فيما أظن .. اذ لا زال بيننا من يتفقد .. ويسأل عند المناسبة التي تقتضي التفقد والسؤال .





جلالة الملك سعود رحمه الله

العودة للوظيفة .. !

وفي عام ١٣٧٤هـ ولي معالي الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله منصب وزير المالية والاقتصاد الوطني .. فأستدعاني لادارة مكتب الاستعلامات والنشر وذلك بغرض اعداد الدعاية اللازمة لمشاريع الدولة في تلك الفترة والتي كان جلالة الملك سعود رحمه الله يعتزم تنفيذها .. بالاضافة الى تولي نشر اعلانات الوزارة وفروعها والمصالح والادارات التابعة لها ..



صالح محمد جمال





الاصفهانى

في معترك الصحافة ..!

وفي تلك الفترة كان الأخ الأستاذ صالح محمد جمال قد حصل على امتياز لأصدار جريدة حراء أسبوعيا .. ولما لم تكن في مكة المكرمه مطابع لطبعها .. فقد اختار مطابع الأصفهاني بجدة وهى في تكوينها المبدئي لتولي طبعها وبحكم اقامتي بجدة طلب الى أن أساهم بمجهودي في التصحيح والوقوف على الاخراج وتلقي الاعلانات مع ملاحظة أعمال التوزيع .. فرحبت بهذه المساهمة خاصة وقد كانت تربطني به وبأخيه الصديق الأستاذ أحمد محمد جمال صداقة أدبية ومساجلات في سهرات كنا نتبادلها مع مجموعة من الأصدقاء كما قمنا بزيارات لأهم المآثر في مكة المكرمة كجبل حراء وجبل النور وغيرهما .. وكتبنا عنها نثرا وشعرا .. وفقدت ما كتبت مع مافقدت من كتابات أخرى كما ذكرت آنفا ..

ومازلت أذكر لمعالي السيد عمر السقاف وزير الخارجية رحمة الله عليه .. والأستاذ عبدالعزيز الداغستاني وكيل المراقبة العامة لحسابات الدولة سابقا .. والأستاذ عبدالفتاح كابلي من كبار موظفي شركة ارامكو مشاركتهم معنا في هذه السهرات بمنزلي بأجياد .. وقد كانو أيامها طلبة في مدرسة تحضير البعثات .. كما اننى مازلت أذكر أصدقاء آخرين من أبرزهم الأستاذ عبدالرزاق بليلة والأستاذ علي حسن غسال رحمه الله والأستاذ سراج عبدالسلام عطار ..

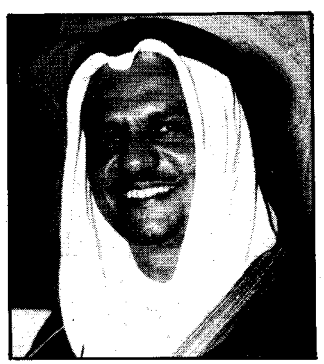
وكانت رفقة في جريدة حراء أستطعنا أن نحقق فيها انتصارات اجتماعية وأدبية واقتصادية ..

وحدث بيننا ماحدث دون أن نفقد عوامل الود والمحبة بيننا ..

الا أن تجربة جريدة حراء مع ماسبقها من تجربة علاقاتي بجريدة البلاد السعودية حفزتني لأصدار جريدة لحسابي الى جانب تشجيع أدبي من معالي الأستاذ أحمد صلاح جمجوم أيام كان مديرا عاما لشركة الأسمنت العربية المحدودة بجدة وهي أول شركة تقيم مصنعا لأنتاج الأسمنت يعود الفضل في انشائه وتحقيقه الى معالي المرحوم الشيخ عبدالله السليمان الحمدان ومعالي الأخ الشيخ أحمد زكي يماني عندما كان مستشارا قانونيا لشركة الأسمنت ولمصلحة الزكاة والدخل أبان تأسيسها .. كما كان يملك مكتبا للاستشارات القانونية والقضائية بعمارة باخشب وأظنه مازال قائما حتى الآن ..

وراقت لي الفكرة خاصة عندما أخذت وعدا صادقا منهما بأن يشاركا في أعباء اصدار الجريدة .

فذهبت الى منزل معالي الشيخ محمد سرور الصبان .. وأخذت رأيه في هذا الاصدار بعد أن الغى مكتب الاستعلامات والنشر الذي كنت أديره برتبة مدير عام مصلحة وذلك على أثر انشاء المديرية العامة للصحافة والاذاعة والنشر واختير مديرا عاما لها انئذ معالي الأخ الصديق الأستاذ عبدالله بلخير ..



معالي الشيخ عبدالله بلخير

وصاحب جريدة .. !

وأستمهلني معاليه عدة أيام - كعادته مع أمثالي - للتفكير وابداء الرأى .. بعدها أشار الى بالحضور الى حفل عشاء كان قد أقامه لأحد كبار أصدقائه موضحا بأن الشيخ عبدالله بلخير سيكون من ضمن المدعوين وذلك لعرض الفكرة عليه وأخذ موافقته المبدئية للحصول على امتياز الجريدة ..



عرفات

وكنت قد سطرت ورقة طويلة تضم مجموعة أسماء لاختيار أى منها ليطلق اسما على الجريدة .. وحملت البيان ، وزرت عددا من الأصدقاء أستشيرهم الاختيار .. الا أنني رجحت أخيرا اختيار الأستاذ الكبير محمد حسين زيدان بأن يكون اسم الجريدة « عرفات » بأعتبار أن هذا

الاسم يظل عالقا في أسماع الناس وأذهانهم وقلوبهم لأنه يدل على معلم من أهم المعالم الاسلامية وأبرزها كمقصد يقصده الحجاج في كل عام الى أن يرث الله الأرض وماعليها ..

وفي اليوم التالي ذهبت الى المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر وقدمت الطلب رسميا .. وأتخذ مساره الرسمي الروتيني حتى صدرت الموافقة الملكية السامية على اصدارالجريدة .. في الوقت الذي منح فيه الأستاذ غالب ابو الفرج مدير الصحافة أنذاك امتياز اصدار جريدة باسم « الصحراء » وقد عرفت هذا منه لأنه هو الذي أبلغني الموافقة على اصدار الجريدة ..

سر دفين ..!

ومنذ تلك اللحظة أخذت أبحث عن « ضالتي » فيمن يساعدني للبدء في الاخراج والاصدار ..

وأستعرضت مجموعة من الأسماء في ذهني .. وأخذت أدرس أوضاع كل شخص من هؤلاء وأبرزها : مدى استعداده للتعاون معي .. وعما اذا كانت ظروفه تسمح له بالانصراف معي بكل ما يتطلبه مثل هذا التعاون ولو لفترة معينة ..

وقد يضحك القاريء .. أو يصيبه العجب اذا علم الآن .. الآن فقط .. بأن كل هذا الذي كانت تمور به نفسي .. وتدور عليه خواطري ، وقد غدوت صاحب امتياز جريدة أتعجل اصدارها انني لم أكن أملك الا قدرا يسيرا من المال .. فلا راتب أتقاضاه ولا دخل من عقار .. ولا تجارة تدر على ربحا .. وقد يعجب القاريء أكثر وأكثر لو قلت له الآن بأن مشكلة التمويل لم تكن آنذاك لتقلقني كثيرا .. وبالتالي لم تكن مصدرا لتعويقي عن الاستمرار في العمل السريع لاصدار الجريدة .. اعتقادا مني بأن من سيتولى الطبع لن يطلب مني دفع أى مبالغ على الحساب لأنه كان الأخ محمد حسين اصفهاني الذي ربطتني به صداقة قديمة ووطيدة وذات ثقة متبادلة .. كما أن صاحب العمارة الذي استأجرت مكتبا فيها بشارع المطار لم يطلب مني دفع الايجار

فورا حتى ولم يكتب أى عقد للايجار .. ثم أن من سيتعاون معي لن يطلب مني أجره مقدما .. ذلك لأن عوامل الثقة في التعامل على أيامنا تلك كانت مصدرا من مصادر حب التعاون دون الاهتمام كثيرا بالماديات التي ستأخذ طريقها في يوم قادم مهما طال مداه الى الوفاء .. فلقد كان الالتزام الأدبي عند الناس هو الأهم في توثيق العلاقة بين المتعاملين لبناء مستقبل أفضل حتى يأتي العطاء سهلا ميسورا ..

بابا طاهر ..!



بابا طاهر

وأقتربت الأيام لموعد ذكرى جلوس جلالة الملك سعود رحمه الله على عرش البلاد .. وكانت فرصة لتحقيق فكرة الاصدار حتى تكون مقترنة بهذه المناسبة ..

وبينما كنت أجد في البحث عمن أتوسم فيه مساعدتي للأصدار اذا بي وجها لوجه مع صديقي القديم ، وهو من هو وفاءا .. واخلاصا .. لا زيف فيهما ولا التواء .. هو : الأستاذ الشاعر طاهر زمخشري .. أمده الله بالعافية .. !

وهتفت به : لقد وجدتها ..

وبطريقته أخذني في الأحضان .. وأستفسر عن صحة المعلومات التي وصلته عن حصولي على امتياز لجريدة اسمها .. « عرفات » .. فأيدت له معلوماته .. وفورا عرضت عليه مساعدتي .. وعند الدخول في

تفاصيل الأجر ومقداره .. أومأ الى بأصبعه محذرا بالرفض لو ذكرت أى كلام عن موضوع الأجر .. وهذه احدى ميزات « بابا طاهر » رغم أنه كان عاطلا عن العمل .. مع انه كان بوسعه أن يحدد أتعابه التي لن أرفضها .. ولن أساوم عليها .. ولكنه كان لا يربط علاقته بالماديات .. ثم أنه لا يريد الارتباط بأى قيد قد يكسره في يوم ما .. ولأى سبب طارىء .. أو سبب فيه حساسية .. من نوع الحساسية التي علينا الرضوخ للاقتناع بها دون نقاش .. ثم أنه كان يشعر بأن عليه واجبا تجاه أصدقائه . ولذلك يسعده دائما أن يلبي الوفاء لهذا الواجب .. هذاما لمسته فيه خلال عشرتنا التي وثقتها أعباء جريدتي عرفات والبلاد وكنت أعيش معركة رهيبة في دنيا الفكر والكلمة .. خاصة عندما نمى الى ان كثيرا « من الناس » كانوا مشفقين على من متاعب الصحافة والكلمة والنشر .. منهم من كان اشفاقه منصبا على مدى قدرتي على الاستمرار في هذا المجال .. ومنهم من كان اشفاقه من توقع فشلي عاجلا غير آجل .. ومنهم من ظن أن الصحافة لها من المحرجات والمشاكل .. والشوك ماقد يعجل نهايتي فيها وعلى نحو قد يكون مزعجا .. ومنهم من كان لا يؤمن الا بحرية النشر أيا كان حدها .. لأن صحافتنا لا تتمتع بأى قدر من الحرية .. كما هو مظنون عنها ..

ومضيت في طريقي ..!

ولم أبتئس من كل هذا الذي قيل ، ولم تثبط عزيمتي .. كذلك وجدت أن أى كلام يقال لابد أن آخذه بعين البصيرة والأعتبار .. وأن أجعل منه نورا أهتدي به في ظلمات الفكر والكلمة ودنيا الصحافة ..

لكنني وأنا أعيش نظرات الاشفاق .. هذه وما قد تحمله من عواقب أقرب الى الشماته من غيرها .. كنت أهتف من أعماق قلبي : يـاالله .. وكنت أضرع اليه بقلبي وبقلمي أن يهبني العون .. من خلال استشهاد كثيرا ماكنت وسأظل اردده :

اذا لم يكن عون من الله للفتى - فأول مايجنى عليه اجتهاده .

وابتدأ الاصدار

واصطحبت « بابا طاهر » الى مطابع الأصفهانى حيث كان العزم مسبقا لطبع الجريدة لديها بحكم تجربتي في التعامل معها ..

وهناك اقترح « بابا طاهر » أن امهد لاصدار الجريدة .. بأصدار عدد خاص تحية لذكرى جلوس الملك سعود ـ رحمه الله ـ على العرش ريثما تتم كافة الاستعدادات لأصدار الجريدة بشكل منتظم ..

وسألني عمن سيعمل معي في الجريدة فذكرت له أن الأساتذه : أحمد صلاح جمجوم ، وأحمد زكي يماني وعداني بالتعاون معي ، فسر



الاعضاء المؤسسون لعرفات

لذلك كثيرا ..

لكنه نصح بأن أضم اليهما من توسمنا فيهم الموافقة على العمل معنا ..

واستعرضنا مجموعة من الأسماء ..

وبدأ الاتصال بهم .. الا أن معظمهم كان يسكن في مكة المكرمة ، وقد يكون من الصعب عليهم الشخوص الى جدة بشكل منتظم .. وركزنا على المقيمين في جدة .. وتمت الاتصالات .. ولم يعترض أحد على المشاركة .. غير أن منهم من اعتذر بسبب مسئولياته وأعماله التي قد لا تمكنه من الوفاء بالالتزام ..

وأخيرا أمكن لنا اقناع الأصدقاء : عبدالعزيز الرفاعي .. محمد عبدالقادر علاقي .. د . محمد سعيد العوضي .. شكيب الأموي .. الى جانب الجمجوم واليماني وبعد عدة شهور أنضم الى الأسرة الأساتذه : عبدالوهاب آشي .. عزيز ضياء .. د . عبدالوهاب أبو حجر وصالح باوزير ..

أول خبطة صحفية ..!

وبدأت اجتماعاتنا التي حددناها بعصارى كل يوم ولمدة ساعتين .. وتم توزيع الادوار فيما بيننا جميعا .. وشعرت بأن اهتمامهم بالجريدة ودورها الذي ينبغي أن تلعبه يفوق التصور والتقدير ..



المؤلف بين يدى جلالة الملك سعود رحمه الله

وكان العدد الخاص بمناسبة عيد جلوس جلالة الملك سعود رحمه الله الذي أصدرناه قد حمل أول خبطة صحفية اخبارية وهو اعلان ميلاد أول جامعة في هذا الكيان الكبير .. اسمها جامعة الملك سعود .. مقرها الرياض .. وكان سبقا صحفيا هيأ الأذهان لأستقبال جريدة عرفات استقبالا يبشر بالاقبال عليها .. ومن هذه المنطلقات وضعنا مجموعة من التصورات التي تخيلناها قياسا على ما كانت الصحف الأخرى تعنى وتهتم بأبرازه .. واكتشفنا أن عناصر صحفية تنقص هذه الصحافة .. أو أنها لم تعن بها كثيرا ربما لأنها ذات تكلفة مادية قد لا تغطيها أجور الاعلانات الهزيلة .. ولا المبيعات ولا الاشتراكات ..

أفكار من الزملاء ..!

ولم أكن أحسن حالا من حيث الماديات منهم الا أن الطموح الذي يغلب على تصرفاتي .. والدخول في مغامرات قد تحقق الأهداف التي أسعى اليها جعلتني أسجل مواقف .. وأتخذ قرارات لتنفيذ مقترحات الذين تكرموا بالتعاون معي لأصدار صحيفة تتميز وتتفوق على الأخريات الرصيفات .. لأن غزو السوق الفكري والاعلامي والأدبي لابد له من تضحيات حتى يثبت من يعمل في هذا الحقل وجوده بل وفعاليته في دنيا التنافس بشكل عام .

وكان رصيدي في البنك لا يتجاوز بضعة آلاف ومن المنتظر أن يتبخر في شهر واحد ـ كما لم يكن متوقعا الحصول على موارد من مبيعات واشتراكات واعلانات الا بعد نحو شهرين الى ثلاثة شهور .. وان كان المظنون عكس ذلك ..

لقد كان علينا ايجاد مخبرين لتسقط الأخبار والحوادث وما تمور به حياة الناس على اختلافهم ..

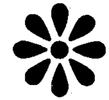
كما قررنا الاعتماد على الكاريكاتير كعنصر من عناصر النقد الهادف البناء ..

ولما كان كل خبر تؤكده الصورة وتعطيه الظلال الواقعية له هو عنصر من أهم عناصر الصحافة الأخبارية .. فان ذلك كان يحتاج الى

مصاريف لا يستهان بها .. بالاضافة الى أن يكون الاخراج ملونا بلونين وأكثر مما يضفي على الجريدة مظهر التجديد ، فضلا عما يحتاجه تحقيق صحفي من عدد وفير من الاكليشهات لعناوين مضغوطة من شأنها تزيين العدد واضفاء ظلال من الجمال والبهاء عليه ..

كما كان مهما جدا السعي لاجراء تحقيقات صحفية عن أهم مظاهر الحياة وواقعها بما تمور به وتزخر .. بالصورة وبأكبر كمية من المعلومات التي ربما كانت حبيسة في صدور المسئولين .. ومصدر تطلع تهفو اليه رغبة المواطنين خاصة وان عام ١٣٧٧هـ كان مليئا بالأحداث .. الى جانب قيام مشاعر عديدة نحو الأوضاع الاقتصادية بالذات كان من المتوقع حدوثها على نحو أدى أن يكون الخوض في علاجها قبل تفاقمها من أهم الواجبات الصحفية التي بات علينا التنبيه لها ، للتحذير من مغباتها ـ وبرغم هذا ، وذاك ، فقد حدث فعلا الأمر الذي استدعى التدخل السريع والحازم من قبل جلالة الملك فيصل رحمه الله ، وقد كان أيامها وليا للعهد ، ورئيسا لمجلس الوزراء .. فأجتازت البلاد تلك الأزمة الاقتصادية الخانقة بكفاءة وقدرة فائقتين . بصرف النظر عن مجموعة من الخلفيات التي صاحبتها مما يضفي عليها الكثير من الحقائق والتي مازالت في حاجة الى إيضاح ..

وصدر أول عدد من جريدة عرفات ليلة ٢ جمادى الثانية في عام ١٣٧٧هـ يحمل بين طياته البرامج والأفكار والتطلعات التي اعتزمنا العمل على ابرازها تباعا ...





جريدة أسبوعية شعبية تصدر بمدينة جدة

بسم الله الرحمن الرحيم — العدد الثانى ٦/٩/ ١٣٧٧ﻫ – ٣٠ / ١٢ / ١٩٥٧م الثمن ٣ قروش

الأخبار في أسبوع

لندن :

قال مستر جيتسكل زعيم حزب العمال البريطانى أن تسوية النزاع حول كشمير أمر ذو أهمية عظمى وقال أنه يأمل أن ينجح الدكتور جراهام ممثل الأمم المتحدة فى تسوية هذه المشكلة الخطيرة .

وشنطن :

قال مستر دالس تعليقا على نتائج حلف الاطلسى أن من الحماقة أن تخفى أمريكا عن حلفائها أسرارا يملكها غيرها .

دعا الرئيس ايزنهاور الى اجراء تخفيض اختيارى يقدر بحوالى مليون وربع برميل من النفط المستورد للساحل الغربى من الولايات المتحدة وذكر سيادته أن التوسع فى استيراد النفط يؤثر بشكل خطير على صناعة النفط المحلية فى الساحل الغربى الامريكى .

انقرة :

صرح السيد عدنان مندريس بان يعتقد بان التوتر بين تركيا واليونان سينقلب الى صداقة تعود بالفائدة على كلا الطرفين .

غـــزة :

سلم داج همر شولد السكرتير العـــام للامم المتحدة بمطار غزة مبلغ ٣٦٠٠ دولار لمدير وكالة الاغاثة وهذا المبلغ تبرعت به القوات الدولية والموظفين الدوليين وقال همر شولد بان كل فرد من أفراد قوة الطوارىء الدولية يشعر شعوراً انسانيا نحو اللاجئين الذين يعيشون بينهم واضاف بانه فخور بذلك .

الرياض :

وصـــل الى الرياض وفد سورى برئاسة السيد اسماعيل القول رئيس لجنة الخط الحديدى الحجازى يرافقه سعادة الاستاذ شاهر السهلى الوزير المفوض بالسفارة السعودية بدمشق

وقد قدم هذا الوفد ليعرض على جلالة الملك المعظم نتيجة أعماله والخطوات التى تمت فى المشروع

رالف بانش

صرح رالف بانش مساعد السكرتير العام للامم المتحدة بان مشكلة فلسطين تعد بمثابة خطر مستمر على السلام فى الشرق الادنى وأن هناك احتمال حدوث انفجار مفاجىء فى المنطقة نتيجة لبقاء مثل هذه المشاكل دون حل

وقال بان مشكلة توحيد المانيا تمثل الخطر الاكبر الذى يهدد السلام فى عام ١٩٥٨

الحبيب بورقيبة

قال الرئيس بورقيبة أن الفرنسيين وضعوا عقبات خطيرة فى طريق المحادثات التونسية الفرنسية التى تهدف الى انسحاب القوات الفرنسية وطالب بان يتم الانسحاب فى موعد غايته شهر مارس القادم

السير هيوفت حاكم قبرص

أثنت صحيفة نيويورك تايمز الامريكية على جهود السير هيوفت الحاكم الجديد لقبرص ووصفته بانه رجل الساعة وأنه يتميز بحنكة سياسية وخبرة عميقة بنفسيات الشعوب .

ضوء على الأخبار

فى صيف عام ١٩٥٥ تقدم مندوبو كل من المملكة العربية السعودية وافغانستان وبورما ومصر ولبنان وليبريا والباكستان والهند واندونيسيا وإيران والعراق والفلبين وسوريا وتايلاند واليمن الى السكرتير العام للامم المتحدة لادراج قضية إريان الغربية فى جدول أعمال الجمعية العمومية وفى العاشر من ديسمبر أوصت اللجنة السياسية للامم المتحدة باجراء مفاوضات ثنائية بين أندونيسيا وهولندا أملا فى الوصول الى حل النزاع .

وبعد عدة أسابيع وعلى ضفاف بحيرة جنيف اجتمع الوفدان الاندونيسى والهولندى وأصدرا بلاغا مشتركا يبدأ بالعبارة الآتية .

لقد انتهى المؤتمر الاندونيسى الهولندى من غير الوصول الى أى اتفاق .

ومن ذلك اليوم بدأت المتاعب فقد قرر مجلس الوزراء الاندونيسى تكوين حكومة محلية لاريان الغربية مكونة من .

١ — الجزء الذى يحتله الهولنديون

٢ — مقاطعات تيدور وأدبا ، مادا ، ودا ، باتانى ، وازبل واختيار تيدور عاصمة للنطقة .

ومن الجانب الآخر ارتفع صوت الملكة جوليانا فى خطاب العرش الهولندى بأن إريان الغربية (أرض هولندية) .

وهكذا بدأ العراك بين الدولتين واستخدمت اندونيسيا حقها فى تأميم الكثير من المنشآت والمؤسسات الهولندية وفى الاجتماع الاخير لحلف الاطلسى قيل أن هولندا استعدت الدول الأعضاء على اندونيسيا .

موقف الصحافة الغربية :

كان تحيز الصحافة الغربية واضحا الى جانب هولندا فمثلا كتبت احدى المجلات الغربية تحت عنوان : ثلاث طرق الى الدمار .

ان على اندونيسيا أن تختار بين ثلاث كوارث .

١ — انقلاب شيوعى .

٢ — تفتيت الجمهورية الى حكومات محلية صغيرة .

٣ — فوضى اقتصادية تؤدى الى مجاعة ثم الى حرب أهلية .

من هذه اللهجة التى تمتلىء بالمرارة والحقد ينظر الغربيون الى القضية ، وهى نظرة تختلف تماما عن نظرتهم الى دولة كاسرائيل التى يكتبون عنها بأسلوب التدليل والتمنيات الطيبة .

حقا أن دول الاستعمار لم تستفد من الدروس القاسية فما أحوجها الى درس جديد .

محمد عبد الغفار علاقى



معالجات قوية ناضجة
ستقرأ عرفات مرة .... لتقرأها كل مرة

العدد الثانى من عرفات

مرح ، وقلق ..!

ومازلت أذكر حتى الآن كيف كنا وقوفا بما يشبه الثبات وراء كل صفحة من حيث الاخراج والتصحيح وغيرهما في جو ملؤه المرح والتفاؤل وقلق الشعور بمسؤولية الحرف والكلمة وما يتبعها من انتشار تفقد تماما السيطرة عليه عندما يكون بين يدي القراء .. ذلك لأن الجريدة بعد ماتصدر تكون ملكا للقراء ولآرائهم ومدى استيعابهم لها وارتياحهم لما جاء فيها ..

واخترنا يوم الأثنين موعدا لصدورها من كل أسبوع .. وقد كان أول يوم صدرت فيه الجريدة يوما حفل بشتى أنواع الترقب والتطلع لما عسانا نسمع من تعليقات وانتقادات مع بعض كلمات قد لاتخلو من التبريك والأمنيات الحسنة .. بيد أنني هيأت نفسي لتقبل أى نقد ومن أى كان .. لأن النقد ان كان هادفا فانه سيقودنا حتما الى عمل أكبر .. والى انتاج أفضل .. والى أفكار أقوى وأحفل عطاء ..


فؤاد شاكر

وفي اليوم التالي كتب الأستاذ فؤاد شاكر رحمه الله خبرا جعلنا نعتز به .. أما الجريدة الأسبوعية الأخرى فقد أرادت انقاص جهدي في اصدار الجريدة .. ربما لأضعاف مركزها الصحفي وخاصة عندما نشرنا خبر قيام « جامعة الملك سعود » في العدد الخاص الذي انفردنا بنشره دون الصحف الأخرى .. لكن هذا الانقاص زادنا تصميما على المضي قدما دون الالتفات لهذه التفاهة التي لم يكن لها مايبررها .. لكننا قدمنا الشكر والتقدير للأستاذ فؤاد شاكر ودعوناه للمشاركة بقلمه في جريدة عرفات .. وقد فعل ذلك مشكورا .. رحمه الله ..

وفي خلال الأسبوع الأول من صدور الجريدة تلقينا رسائل عديدة تعرض علينا المشاركة من أصحابها .. وقد كانت موضع أهتمام أسرة التحرير ودراستها .. كما كان كل عضو في هذه الأسرة يدلي في اجتماعنا اليومي بما تلقاه من ملاحظات وانتقادات .. وتمنيات في محيط المجتمع الذي كان يعيش فيه ..

وتمضي الأيام ..!

ومضينا حثيثا في تطوير الجريدة .. وتنويع أبوابها والتوسع قدر الامكان في نشر مايسمح به مجال الجريدة .. على الأقل لأرضاء اكبر عدد من المتعاطفين معنا من القراء ومن يتسامعون عنهـا .. وبالذات ممن أصابهم ولع الصحافة وحب الانتماء اليها .. منهم من كان يستحق فعلا الاهتمام بأنتاجه وعـطائه .. لكن ذكـاء أخونـا العلاقي .. وتمحيص أستاذنا الرفاعي .. وحرصي على ملء الصفحات بما هو أهم حال دون ماقد يشبه الابتذال الى حد ما .. خاصة عندما تأكدت من أن الجريدة قد أخذت مسارهـا للشيوع والانتشـار .. وبالذات عنـدما أدرك القـراء الجدية والموضوعية في القاء الضـوء على مشـاكلنا كـدولة ناميـة .. وشعب أدرك مسئوليته تجاه بلاده بشكل متوفر .. ومكانته المستمدة من مواقع الحرمين الشريفين التي تهفو اليها قلوب المسلمين في كل بقاع الأرض ..

وبدأت أحمل هموم التطوير اضافة الى الهموم الأخرى ، وأتلقف كل كلمة تحمل أى اقتراح من شأنه اعطاء الجريدة أفقا جديدا .. ودما حارا يدفعها الى مستوى آمالنا .. وتطلعـاتنا .. وبمـا قد يمكن أن أسميـه بالعناد لأن هناك من حاول افهامنا بأن أى تطور صحفي يحتـاج الى جهود خارقـة .. والى مال وفـير .. والى حريـة لا تهاب ولا تخـاف ولا تتردد .. كما كان للتحديات التي أخذت تطفو على السطح دورها المؤثر في انطلاقاتنا .. ولم يكن بوسعنا اغفالها .. أو التقليل من شأنها .. لكن الشعور بالتفاؤل للتغلب عليها كان أبرز ما كنا نعيشه .. ونغذ السير في محو أى تأثير قد يعوق ماكنا نمضي في سبيله ..

وكنا نستعرض كل عدد بعين الناقد لا بأسلوب المغرور أو المعجب بذاته ..

وشعرت ـ بطريقتي الخاصة ـ أن هناك نقصا حادا في أهم العناصر التي ينبغي أن تضاف الى الجريدة .. فالأخبار المصورة لم تكن كافية لأشباع رغبة القراء الذين يبحثون عادة عن الخبر والصورة الى جانب الأبواب الأخرى .. وفي نفس اليوم أثير هذا الموضوع وبلغ النقاش في أهميته درجة الاحتدام .. وانتهينا الى أنه لا يكفي أن نظل قابعين في مكاتبنا نلتمس الأخبار من الآخرين تطوعا أو عفو الخاطر ..

وابتدأ التطوير ..!

وسافرت الى الرياض .. ونزلت في فندق اليمامة باعتباره الفندق الوحيد الذي يؤمه المجتمع على اختلاف فئاته فيما يشبه التجمع من كبار الموظفين ورجال الأعمال .. وكنت أعرف الكثيرين منهم وهؤلاء عرفوني بالآخرين .. وفهمت أن معظمهم لا يقرأ الجريدة ـ ولا غيرها ـ من الصحف ، ربما لأنهم لا يجدون فيها مايحركهم لطلب قراءتها .. وعقدت معهم صداقات توطدت مع الأيام .. الأمر الذي سهل لي الحصول على أكبر قدر من الأخبار .. وأستعنت بأسلوب الحوار في مناقشة هذه الأخبار وخلفياتها .. والتصورات التي قد تتطور عنها في قابل الأيام ..

منها ماكان خاصا بالمشاريع ، وخاصة تلك التي تعنى بالخدمات والمرافق العامة مزودة بالصور لما أنجز وبالمخططات لما يعتزم تنفيذه مستقبلا ..

وأبتداء من اليوم التالي بدأت بأرسال هذه الحصيلة للأستاذ محمد علاقي مع المسافرين الذين كنت أتصيدهم في ساحة المطار ..

ومن أظرف المفارقات في هذه الأخبار أنها كانت مصدر استفسار من الذين أستقيتها منهم ..

من أين هذه الأخبار .. ؟

وكيف حصلت عليها ..؟

ولم أفش السر رغم أنه لم يكن سرا لأني قد أستللت هذه الأخبار في الواقع ـ من الحوار الذي كان يدور بيننا ـ ومن المناقشات التي كنت أثيرها بين المجموعات المتباينة التي تتجمع في فندق اليمامة .. ومن كل حوار كان يدور بين كبار الموظفين وأصحاب السمو الملكي الامراء وأصحاب المعالي الوزراء وغيرهم . وذلك أثناء زيارتي لهم لاستطلاع مالديهم من أخبار ومعلومات مما تتطلبه الصحافة بشكل عام ، وكما هو معروف ..

وهتف الأستاذ العلاقي من جدة يطلب المزيد .. كما وجد الزملاء الكرام مادة للكتابة والتعليق على مانشر من أخبار وتعليقات ..

وكثيرا ماكنت أمتنع عن نشر بعض الأخبار والمعلومات اذ ليس كل ما يعلم يقال ..

وبأحساسي الذي أخذ يتولد ويقوى أدركت أن كل من ينشر عنه خبر .. أو تصريح يدلي به .. ثم يأتي التعليق عليه .. يهتم بالجريدة ، وبحرص على متابعة ما ينشر فيها ..

وخلال أسبوعين أستطعت استقطاب غالبية القوم للاهتمام بالجريدة والحرص على مطالعتها .. الى جانب الحرص أيضا على تزويدها بالمعلومات والأخبار تباعا ..

المسئولون ..والنقد ..!

وأخذت المسئوليات تتعاظم على عواتقنا كل فيما كان يتناوله عبر المقالات التي كانت تظهر وفيها الجديد .. والجرىء وما يحمل من نقد هادف .. واقتراحات لأصلاح ما كنا نؤمن أنه يحتاج الى اصلاح ، وان الصحافة هى التي يجب أن تكون مسئولة عن التنبيه اليه ، والدعوة الى استدراكه اما لتصحيح او لأستكمال أو اعادة النظر والتدقيق في اصلاحه ..

وبالمتابعة والاستقراء .. وتعليقات المسئولين على اختلاف مراكزهم في القمة والقاعدة من هرم المسئوليات والقراء عرفنا أن النقد وحده لا

يجدي .. بل ولا يجد طريقه الى عقل وقلب واحترام الجميع .. وهذا رأى صحيح .. ذلك لأن القاعدة العامة في دنيا الصحافة كما يجب أن تحترم هو أن لا يكون النقد وحده أحد وسائل الاصلاح والتقويم ..

مثال ذلك :

لو وجدنا أن أحدى مواد أى نظام صدر ومعمول به في حاجة الى تعديل أو ايضاح أو اضافة تتماشى مع تطور الاوضاع .. فان على الكاتب أو الصحفي أن يعرض الفكرة بموضوعية مدروسة ، ثم يدلي برأيه المفيد والذي قد يكون قابلا للنقاش والحوار من الآخرين .. وهذا ينسحب على المواضيع الأخرى ..

أما أن ينتقد لمجرد النقد فأن هذا يدل على الفسولة وسوء القصد وهذا في رأيي وربما في رأى الكثيرين « عيب صحفي » يجب الابتعاد عنه ..

ومازلت أذكر حوارا جادا جرى بيني وبين جلالة المغفور له الملك فيصل رحمه الله حول مفهوم النقد وواجباته .. فقد قال :

« نحن لا نتضايق من النقد الهادف البنّاء - بل نعتبره وسيلة من وسائل الاصلاح والتقويم - اذ كلنا بشر نخطىء ونصيب ولكن الذى يضايقنا فعلا هو النقد المجرد من الموضوعية - وابداء الرأى الصحيح للاصلاح والتقويم - ثم أردف قائلا : ومثل هذا النقد يعتبر تشهيرا وغير لائق أبدا » .

ولقد وددت أن أسجل الكثير من المواقف التى اجتزناها فى أيامنا تلك وأن أسجل أسماء المتعاونين معنا فى كثير من أبواب الجريدة وفصولها - وخاصة رسامى الكاريكاتير - أولئك الذين كانوا يعيشون معنا أوضاع المجتمع وتطلعاته - ثم ينقلون أفكارها وصورها وألوانها فى رسم يوحى بالغرض والهدف دون عناء ..

وكان كل كاريكاتير ينشره عبارة عن مقال متكامل العناصر والاطراف .. ولكم لعب هذا الفن الصحفى أدوارا بالغة الاهمية فى صحافة العالم كله ومازال يلعب دوره على أفضل وأحسن الوجوه .. الا أنه سلاح ذو حدين ينسحب عليه ما ينسحب على العناصر الصحفية الاخرى من تقبل وازدراء ..

ومضينا فى مشوارنا مع عرفات ونحن أشد حرصا على جعلها متكافئة تعيش مع الاحداث .. والتطلعات بشكل متواز مع الاخلاق ، وكل دواعى الاحترام المتبادل بيننا وبين القراء عموما .. فلم ننزل قط الى التفاهات التى كان البعض يحاول جرنا اليها ..

واذا كنا قد اكتسبنا المزيد من الاحترام والتقدير فان مصدره أننا كنا أسرة محافظة على الكرامة الذاتية وعلى احترام مشاعر الغير .. وهذا لعمرى مايجب أن يكون عليه الصحفى على وجه العموم ان لم تكن هذه احدى خصائص الصحفى الناجح .. ومازلت ، وسأظل أتذكر كلاما يطن فى أذنى قاله الاب عزيز ضياء : لا أدرى كيف كنا نكتب مقالات ملؤها القوة .. والجرأة فلا أحد يعترض عليها .. وكذلك لا ينبه الى خطورتها .. لكننى فسرت له ذلك قائلا : ان ماينشر رغم ما وصفت كان باقلام كتاب لا يرقى الشك الى وطنيتهم واخلاصهم وحبهم لبلادهم ومواطنيهم والمسئولين فى قمتها .. وأردفت : ثم لماذا تعجب وكل مايكتب وينشر كان يستمد من الواقع .. ومن النظرة الموضوعية .. والنقد السليم البناء .. وأيضا لم يكن هدفنا التجريح أو التشهير بأى لون أو شكل كان .. وأضفت موضحا : أن ماكان ينشر فى جريدة عرفات كان يلقى كثيرا من الحفاوة والانتباه بدليل ان المديرية العامة للأذاعة والصحافة والنشر - أيامها - كانت تبعث بقصاصات من كل ما ينشر الى الجهات التى كانت المقالات تعنيها .. ثم أن هؤلاء أنفسهم - أعنى المسئولين - كثيرا ماكانوا يبعثون الينا برسائل رسمية تحمل وجهات نظرهم فى مانشرناه .. فمنها ماكان يؤيد ماذهبنا اليه مع وعد باعادة النظر فيما حاولنا التنبيه اليه .. ومنها ماكان يوضح وجهات النظر التى ترتكز عليها الوزارة باعتبارها مستمدة من أنظمة مرعية أو أوامر عالية رأت المصلحة اتخاذ اجراءات معينة نحو أمور ذات طابع متميز .. ومنها ماكان يحمل وعدا بتعديل بعض التصرفات وتوجيهها وجهات صحيحة ..

ولكى أؤكد ذلك فأننى أجريت تحقيقا صحفيا موسعا كان الأول من نوعه فى الصحافة السعودية مع صاحب السمو الملكى ولى العهد



جلالة الملك فيصل رحمه الله

ورئيس مجلس الوزراء « جلالة الملك فيصل رحمه الله » .

هذا التحقيق الصحفى نشر فى العدد « ٥١ » من جريدة عرفات يوم الاثنين ١٣٧٨/٦/٢٤هـ / ١٩٥٩/١/٥م وكان السؤال كالاتى :

س : من الملاحظ أن كثيرا من النظم التى تصدر تنكشف فيها ثغرات وأخطاء .. ثم يعاد النظر فيها لتعديلها .. ومن المفهوم أن الاستعانة بالخبرات الاخرى المستمدة من غير واقعنا هى التى أدت الى ذلك ..

فهل سيراعى ذلك مستقبلا ..؟

ج : نحن دائما نراعى فى نظمنا وترتيباتنا كل ما يقتضيه واقع حالنا .. ولكن هذا لا يعنى أننا ندّعى العصمة من الخطأ .. وانما المهم اذا ظهر لنا خطؤنا عدلنا عنه الى الصواب ..

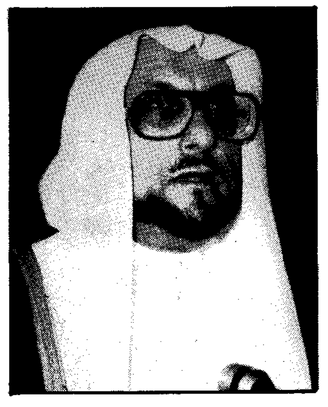
سؤال ، يتقدم به صحفى الى القمة فى جهاز الدولة ، وفى موضوع يمكن أن يدخل فى اطار الاساسيات الحساسة من انجازات الدولة وتصرف الاجهزة المسئولة فيها ، وكان يمكن ان يعترض عليه المسئول الكبير لو شاء ذلك ..

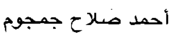
ولكن الاجابة تدل على أن سمو الامير فيصل رحمه الله لم يعترض

عليـه ، وهذا يعتبـر ضمنا اعتـرافا بصحـة ماذهبنـا اليـه فى صلب السؤال ..



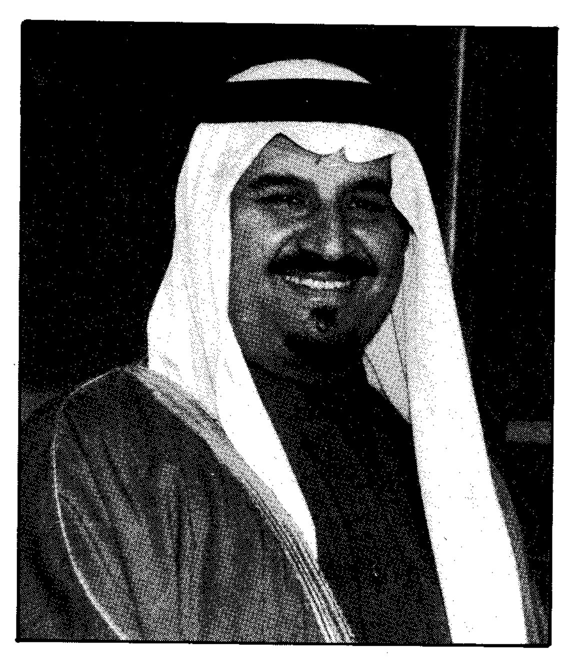
احمد زكى يمانى





أحمد صلاح جمجوم

ولو رجعنا ، وأستعرضنا ما نشر فى جريدة عرفات فى الـ« ٥٣ » عددا الصادرة منها سنجد أن ماكتب ونشر باقلام كتابها عموما والمساهمين فيها من غيرهم .. لم يكن مصدرا لانزعاج المسئولين .. وخاصة ماكان يكتبه معالى الاخ الشيخ احمد زكى يمانى تحت عنوان « نظم ينقصها التنفيذ » وما كان يكتبه معالى الاخ الشيخ احمد صلاح جمجـوم عن الوضع المالى والاقتصادى المتدهور فى تلك الفترة العصيبة التى مرت بها البلاد فيمـا بين عـامى ١٣٧٧هـ - ١٣٧٨هـ والمعالجـات الجادة الرصينة التى كان الهدف منها هو المشاركة برأى فى كل أوضاع البلاد على اختلافها .. ولو رجعنا الى مسيرة جريدة عرفات منذ صدورها يوم ١٣٧٧/٦/٢هـ حتى يوم ١٣٧٨/٦/٢٤هـ وقد نشر فيها مانشر ممـا ذكرت وقلته .. فان استجابة سمو الامير فيصل وهو يمسك بزمام الدولة لاجراء حديث صحفى معى تناول كثيرا من الاوضـاع المحلية كـاملة والخارجية .. وهذه الاستجابة والرد على الاسئلة الجريئة دليل على ان ماذهبنا اليه .. وقطعنا شوطا كبيرا فى ابرازه بكل الصراحة والجرأة والوضوح . لم يكن مرفوضا أو مثيرا للحساسيات على وجه العموم . كما ان فى ثنايا صفحات جريدة عرفات كلاما قاله سمو الامير سلطان بن



صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز

عبد العزيز عندما كان وزيرا للمواصلات من ان الصحافة هي مرآة الرأى العام ..

ولذلك فان ماينشر فيها هو عامل مساعد للتعرف على أوجه النقص والخطأ في الادارات الحكومية .. والعمل على اصلاحها وتقويمها .

أما القول بأنني جعلت من جريدة عرفات مجالا لمشاركة أكبر عدد ممكن من الكتاب على اختلاف مداركهم وتخصصاتهم .. ثم ايجاد شبكة ادارية هي أشبه بمجلس ادارة للجريدة فان هذا كان باعثه اعطاء الجريدة دفعات ثقافية تجمع بين كافة الاجيال ليكون عطاؤها اكثر شمولا تتسع معه الرؤي نحو آفاق يتطلع اليها المواطنون بما ينبغي أن تكون عليه الرؤى صفاء .. ووضوحا وانارة طريق ..

ثم أنني شعرت بأن نقلة صحفية سوف تشهدها الصحافة السعودية كمنبر عام حرصت الدولة على اعطائه الفرصة اللائقة للنماء والبروز .

ذلك لأن الفكرة التي راودت سمو الامير فيصل رحمه الله عن دمج الصحف انما كان هدفها .. هو اعطاء الصحف الطاقات المادية والفكرية

لتكون أكثر اهتماما بواجباتها الصحفية وادراكا لمسئولياتها ..

وقد حدد هذا المفهوم بقوله لى :

« الهدف من دمج الصحف هو تقوية هذه الصحف ، وأن تكون عنصرا مفيدا لتوجيه الرأى العام وخدمة مصلحة البلاد والامة .. وذلك فى العدد الـ« ٥١ » : ١٣٧٨/٦/٢٤هـ ..

ولعلى لا أجد حرجا فى أن أذيع سرا ينشر لأول مرة .. وهو أننى كنت أول الموافقين على عملية الدمج هذه .. ولذلك لجأت الى تكوين مجلس الادارة .. ليكون عونا لى على ادارة صحيفة يومية مقبلة لم تتحدد تفاصيل أوضاعها .. وقد أشرت فى كلمة نشرت فى نفس العدد « ٥١ » الى أننى ناقشت فى الرياض طريقة الدمج مع كل من جريدة البلاد السعودية « يومية » وكانت تصدرها الشركة العربية للطبع والنشر .. ويرأس تحريرها المرحوم الاستاذ فؤاد شاكر .. وجريدة « الاضواء » الاسبوعية والتى كان يصدرها الاستاذ محمد سعيد باعشن .

وهذا لأن الاشارة الى محاولات قام بها الاستاذ فؤاد شاكر لنكون موظفين . أنا والاخ باعشن فى جريدة البلاد السعودية وأن تعوضنا الشركة العربية للطبع والنشر قيمة أثاث مكاتبنا .. وأن تشترى مالدينا من ورق .. كان هذا العرض انطلاقا من مفهومه .. او من مفهوم رؤسائه فى الشركة من أن عملية الدمج لا تعنى المشاركة برؤوس أموالنا بحيث تكون ملكية الجريدة اليومية « وتصدر فى مدينة جدة » بيننا بنسبة الثلث لكل منا ..

هذه الفكرة طرحها الاخ فؤاد رحمة الله عليه فى منزلى فى اجتماع عقدته وحضرته كل أسرة جريدة عرفات لمناقشة مستقبل الجريدة اليومية بعد اندماج الصحف الثلاث فى صحيفة واحدة ..

وقد بذل كل من الاستاذ أحمد صلاح جمجوم والاستاذ أحمد زكى يمانى جهودا كبيرة لتحديد مفهوم الدمج .. والملكية المشتركة بين الصحف الثلاث .. لكن الاخ فؤاد أصر على موقفه ودون ان يحيد عنه ..

واستقر الرأى بعد أن أستأذن بالانصراف على أن أذهب والاخ باعشن للرياض لعرض موقف جريدة البلاد السعودية على أنظار سمو

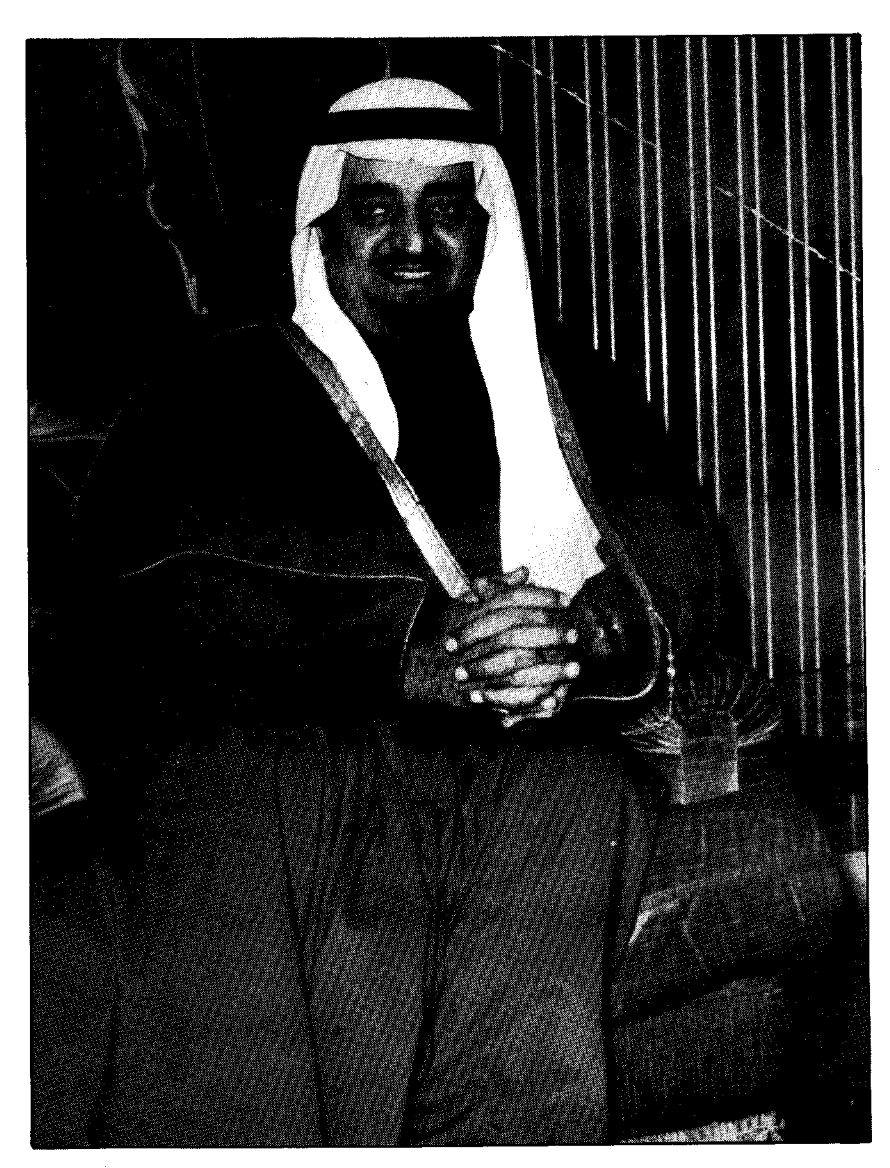
الامير فيصل رحمه الله .. فأبدى سموه الكريم استغرابـه ، الى جانب تأييدنا .. واستدعى معـالى الشيخ عبـد الله بلخير فى التـو واللحظة وأعطاه توجيهاته السامية بأن تكون ملكية الجريدة الجديـدة بيننا نحن الثلاث وبالتساوى ..

بعدها حدثت مفاجأة لم تكن متوقعة .. ذلك ان الاخ محمد سعيد باعشن نشر قصة فى جريدته الاضواء بتاريخ ١٣٧٨/٧/٧هـ تشير الى أن عبداً يطلب مساعدة المواطنين لشراء نفسه من سيده وكان قد أعلن عن نشرها فى عدد سابق ونصح منا جميعا بعدم نشرها الا انه صمم على نشرها .. الامر الذى استدعى الغاء امتيازه بالامر السامى الكريم رقم ٢٨٥ : ١٣٧٨/٧/٧هـ ..

ولذلك تقرر ان يتم الاندماج بين كل من جريدتى البلاد السعودية وعرفات لتصدر صحيفة يومية فى جدة وان تكون ملكيتها مناصفة بين الشركة العـربية للطبـع والنشر وحسن عبد الحى قـزاز .. والندوة وحراء وتصدر فى مكة المكرمة وتكون ملكيتها مناصفة بين الاستاذين احمد السباعى وصالح محمد جمال . ولعل من المناسب ان أنشر الخبـر الذى نشرتـه فى عرفـات العدد (٥٣) ١٣٧٨/٧/٩ وهو آخر عدد يصدر من جريدة عرفات . يقول الخبر :

تفضل جلالة الملك فيصل المعظم فطلب من الصحفيين الانتهاء من الاتفاق فيما بينهم على دمج صحفهم بحيث تصدر صحيفة واحدة يومية كبيرة فى كل من مكة المكرمة وجدة .. وفى نفس مكتبه اختار لجنة برئاسة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز وعضوية كل من صاحب السمو الملكى الامـير سلطان بن عبد العـزيز النـائب الثـانى لرئيس مجلس الوزراء واستاذنا الكبير احمد السباعى للنظر فى الخلاف القائم بينى وبين ممثل الشركة العربية للطبع والنشر بصفة ودية .. محببة على جو الاتفـاق بين . جـريدة البـلاد السعوديـة وعرفـات .. واقترح شيـخ الصحافة كما أسميته آنذاك ابونا الشيخ احمد السباعى ان يكون اسم الجريدة الجديدة لمدينة جدة هو « البلاد » فقط فأبدى الطرفان موافقتهما على ذلك ..

أما اندماج كل من الندوة وحراء فى جريدة يومية واحدة فقد اقترح الاستاذ صالح جمال بأن يتولى رئاسة تحرير الجريدة الجديدة وله ان يسميها « الندوة » وعلى قدم المساواة ..



جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز

وللتاريخ فقد أعلن فى تاريخ لاحق لا أذكره أن الجريدة غدت ملكا خالصا للاستاذ صالح محمد جمال .. بعد ان حصل أستاذنا السباعى على تعويض اتفق عليه بينهما ..

ولأصدار جريدة البلاد يوم الاثنين ١٦/٧/١٣٧٨هـ قصة طويلة .. ومشوار أطول .. عسانى أوفق فى اصدار كتيب آخر عنها .

غير أنه لا بد من الاشارة الى أن صدور العدد الأول من جريدة البلاد كان بمثابة اختبار عملى لما سيكون عليه مستقبل جريدة يومية ..


احمد السباعى


احمد عبيد

فأول عقبة واجهتنا كانت مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر التى أسسها الاستاذ - طيب الذكر - أحمد عبيد ، ثم تركها لأسباب حبذا لو كتب قصة تأسيسها أستاذنا أحمد عبيد ..

فلقد رفضت المؤسسة الاضطلاع بطبع الجريدة الا بشروط لم تكن مناسبة لنا وعرضنا على صديقنا الهمام محمد حسين أصفهانى تولى طبعها فلبى ذلك فورا .. وترك مناقشة المصاريف والتكاليف الى مابعد اصدارها وقال أنها ستكون مرضية لنا لأن الموقف لم يكن يحتمل التأخير ..وبعد مغرب يوم الاحد ١٥/٧/١٣٧٨هـ توافدت أسرة جريدة عرفات على المطابع وكنت والاستاذ فؤاد شاكر فى استقبالهم وكان أن قدم معالى الاستاذ أحمد صلاح جمجوم وزير الدولة وعضو مجلس الوزراء ومعالى الاخ الاستاذ أحمد زكى يمانى والاستاذ عبد العزيز الرفاعى من الرياض والاستاذ محمدعبد القادر العلاقى وقبل أن يذهبوا

الى منازلهم جاءوا الى المطبعة ليطمئنوا على الاطلالة الاولى لجريدة البلاد .. وصدر أول عدد فيها ..

فشرحنا لهم بأن هذا أول عدد سيصدر غدا .. وان موضوعاته جمعناها من بواقى مقالات عرفات غير أننا تحلقنا جميعا لنكتب الافتتاحية لايضاح ما اعتزمنا عليه لتطوير الجريدة فى قابل الايام ..



عبدالعزيز الرفاعى

لكن الاستاذ عبد العزيز الرفاعى رأى تقديم الجريدة بالكلمة التى سطرها بقلمه البارع وأسلوبه الرصين .. وذيلها بتوقيعه .. وهى كما يلى :

« هذه عرفات والبلاد السعودية » :

« نعم هذه الجريدة التى نستهلها اليوم - باسم الله - ليصدر أول اعدادها ليست جريدة واحدة فى جذورها . وانما هى جريدتان توحدتا .. والوحدة بلا شك قوة .. وهذا هو الهدف النبيل الذى كمن وراء اندماج الجريدتين « البلاد السعودية وعرفات » بتوجيه حكيم رشيد من حضرة صاحب السمو الملكى ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء المعظم .

« البلاد السعودية » الجريدة اليومية العريقة التى رسخت اقدامها وبسقت فروعها .

كانت جريدة الحكمة والاتزان يواكبها رصيد كبير من التجارب منذ كانت « صوت الحجاز » ثم أصبحت « البلاد السعودية » ..

و « عرفات » صحيفة الشباب .. كانت تمثل الصحافة الجديدة المركزة يدفعها حماس الشباب وتدعمها قوته وتطلعاته ..

والان .. هذه هى التجربة تلتقى بالحماس والحكمة تزدوج بالقوة لتكون هنا .. روحا واحدا هى « البلاد » ..

ولتكون البلاد صحيفة الشعب بكل أجياله شيوخه وشبابه ..

عبدالعزيز الرفاعى

العدد (١) السنة الاولى ١٦/٧/١٣٧٨هـ .

أما الافتتاحية فقد ابتدأت هكذا :

« باسم الله نبتدىء - وبه نستعين ، وبهديه نسترشد النهج المبين .. ثم استعرضنا للقراء البرامج التى أعتزمنا العمل على تحقيقها .. واعتذرنا عن اصدارها فى أربع صفحات كما كانت تصدر أساسا باسم البلاد السعودية .. وأعلن اعضاء أسرة عرفات ليلتها ولكل منهم وجهة نظره ورأيه - عدم استطاعتهم الاستمرار معى كما كانوا فى جريدة عرفات لكنهم أكدوا استمرار تعاونهم بالحرف والكلمة والرأى من منازلهم ومكاتبهم .. وبما أمكن لهم من تفقد بين وقت وآخر ..وشعرت بثقل العبء .. لكن الله جل جلاله أمدنى بعونه ورعايته ..

ومضيت قدما أستلهم الماضى واستقرىء المستقبل فى دنيا فرشت بالشوك والقتاد .. ونظرات القراء واستفهامهم ..

وخضت مع الذين خاضوا معارك رهيبة فى دنيا ملؤها التحدى فيما لا يحصى من أفكار متباينة .. واتجاهات غريبة ذات أهداف لا تمت الى مصلحة الوطن والمواطنين بصلة ..

وشعرنا بأن هذه الاتجاهات هدفها جرنا الى مشاكل ومقاصد لا تتفق وعاداتنا وديننا وتقاليدنا وموضعنا من العروبة وعراقتها .. وديننا الاسلامى الحنيف الذى انطلق من هذه الديار المقدسة بنور أشرق على الدنيا من أقصاها الى أقصاها ..

كانوا ينادون بوحدة الهدف .. والهدف ضائع بين مزايدات لا أول لها ولا آخر ..وكنا ننادى بوحدة الصف كما أكدها سمو الامير فيصل فى أيامنا تلك - وأحسست أننا مازلنا ، وسنظل على هذا المبدأ الحكيم

كخطوة أولى تقودنا بكل تجاربها الى وحدة الهدف الذى كان مفهومنا له هو تخليص الارض العربية والمقدسات الاسلامية فى فلسطين من يد الصهيونية ..

كما خضت معركة البناء الداخلى بكل ماله وعليه ..

ولما كنا شعبا ناميا .. وخبرتنا لمثل هذا البناء ومقتضياته مازالت نامية ايضا .. فقد كان علينا أن نكون فى مستوى الامكان والمستطاع لتناول الأمور على نحو يتفق مع كل ما يمكن السير فيه لتحقيق البناء دون تهور واندفاع .. وتحميل الامور بأكثر مما تستحقها .

ولما كان عهد الملك عبد العزيز رحمه الله قد اتسم بالفتوحات .. والعمل على توحيد الجزيرة العربية .. وغيرها

فقد جاء عهد الملك سعود رحمه الله ليكون عهد البداية للبناء والتعمير .. ثم جاء عهد الفيصل رحمه الله ليضع المعالم والحدود لمعركة التخطيط للانطلاق نحو ماكان متوقعا ان نعيشه الان من تطور ونهضة أقل ما يقال فيها أنها نهضة حضارية كان لا بد لها أن تقوم .. وأن تزدهر فى عهدى خالداً وفهد العظيمين ..

وللتاريخ فان فكرة التخطيط .. لتحديد أوجه الصرف مقابل الايرادات والتقيد بها .. كانت المرتكز المنطقى لتسير البلاد نحو أهدافها وغاياتها .. ولذلك وجدنا أنفسنا مواطنين وكتّاباً وصحفيين ورجال فكر فى معركة لا بد ان نتخذ منها مسارا يتواكب مع التخطيط ومقوماته .. فلم نكن نخلط بين ماضينا وماكان عليه .. وبين الخطو الوئيد الذى كنا نخطوه حكومة وشعبا ..

فلقد كانت الرؤى واضحة .. والاسباب معروفة .. والتباين فى التطلعات لم يكن ليخفى علينا ..

ثم جاء عهد « الخالد » رحمه الله ليضفى على البلاد سمات عديدة .. ويضع بصمات حضارية ستظل أنشودة فى التاريخ تهزج بألحانها معانى التقدم الحضارى الهائل الذى اقترن بعهده .. لقد أحس كل منهما .. بما لم يكن يتخيله فضلا عن قيامه .. فقد هيأ العمل للانسان .. ليبنى بلده على عواتقه كمرحلة أولى ..

وهذا العهد سيكون امتدادا لما نعيشه الان .

في عهد الفهد الامين - العهد الذى أتوقع أن يتسم بالادارة الحازمة المعروفة عنه لتعطى عطاءها الناجز المستقيم .. حتى تتسع لها الدوائر لتزخر هى الاخرى بما ينبغى لها من الكفاءة والقدرة لتأتى المسيـرة الخيرة بالبالغ من الخيرات والحسنات والجليل من الانجازات التى وعد جلالته بتحقيقها وهو الذى ساعد اخاه الخالد في ارساء قواعدها لتكون منطلقا لايتوقف ان شاء الله بالتعاون مع ولى عهده الأمين الأمير عبدالله بن عبدالعزيز الذى بنى الحرس الوطنى بأسلوب حضارى عزّ نظيره .

وكنا نعرف من يحاول التقليل من شأننا في محيط الشعوب العربية والعالمية والاسلامية .. وتعكير صفو أمتنـا واستقرارنـا .. الى جانب صرفنا عن معركتنا الداخلية .. فقد كانت حرب اليمن محاولة من هذا القبيل .. لكنها باءت بالفشل .. بيد أنها نجحت في تدبر أمورنا على وجه الاجمال .. كأى محنة يعيشها أى مجتمع كان .

كما كانت مواردنا المالية لا تسمح بالتوسع المتزايد عاما بعد عام - لان السياسة الاقتصادية التى نهجتهـا الدولة بقيادة الفيصـل كانت تتقيد بالحدود والقواعد التى وضعت كأساس للبناء الحضارى بكل مقوماته ومناهجه الامر الذى جعلنا مع أواخر السبعينات والثمانينات نرسى بعض القواعد ونثبتها ما أمكن لنا ذلك ..

وحدثت تطورات ، ونقلات سريعة كان لابد للخطأ فيها من نصيب .. لكنه لم يكن بحال من الأحوال معوقا رئيسيا للمسيرة التى صممنا على السير فيها فيما كان الثبات .. والتحدى من أهم عناصرها ..

في هذه الفترات ومنذ بدايتها لعبت الصحافة دورا لم يكن ليخفى على المتتبع للمسيرة وسيرها نحو الانطلاق الحضارى المطلوب ..

وقد تكون هناك مزايدات صحفية لكنها كانت واهنة .. ولم تكن تؤثر بحال من الاحوال في هذه المسيرة .. فان كان قد اعتبرها أخطاء .. فلا أظنها الا أخطاء غلب عليها الاجتهاد الذى لم ينقصه الاخلاص .. وحب الوطن .. في ميزان « المواطنة الحقة » وبمفهومها الاكيد .. ونحمد الله

على أننا لم نجد من يطعن في اخلاصنا ولا وطنيتنا .. بيد أن الامر كله .. من قبل ، ومن بعد .. مما كان الله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ..

وفي شهر شعبان ١٣٨٣هـ اعلن الشيخ جميل الحجيلان بصفته وزيرا للاعلام تحويل صحفنا الى مؤسسات سيأتي الحديث عنها في مناسبة قادمة .. وفي الايام ٢٧-٢٩-/١٠/١٣٨٣هـ تم تسليم صحفنا الى أعضاء المؤسسات كفصل مسرحي له من الخلفيات والحساسيات ما أشرت اليه في حينه ..

وصدرت صحافة المؤسسات مع اشراقة يوم ١/١١/١٣٨٣هـ وقد قررت أن لا أكون موظفا في جريدة بعد أن كنت مالكا لها ..

وقد لا يكون من المناسب أن ادخل في دوامة الكلام عن عطاء المؤسسات .. وعطائنا .. الا أن لكل فترة حكمها .. بيد أن حكم التاريخ وما يحمل في ذمته هو المرد أولا وأخيرا ..

وأنصرفت الى تصفية حسابات الجريدة .. وسيجد القارىء نتفا تاريخية واضحة في هذا الكتاب عن معاناة هذه التصفية في مقالات « جابى تحصيل » وطففت أفكر ، بشىء من الحيرة .. أى الأعمال أمارس وقد أستبعدت فكرة الالتحاق بأى عمل وظيفي أيا كان ..

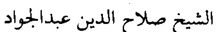
ولو أن معالى الشيخ جميل الحجيلان قال لى عندما عرضت عليه أسماء المرشحين المحتملين لقبول الانتماء الى المؤسسة .. ومقابلتها بالقائمة التى أعدها معاليه بأنه سيكون لى وضع خاص لو وافقت على قائمته .. فقلت له .. أن كان عملا وظيفيا فأنني لا أميل اليه اطلاقا .. وحتى تاريخه لا أعلم ماذا كان موضوع « الوضع الخاص لى » ولم أسأل عنه بعدها .. كما أذكر أن الاخ الكريم محمد حسن طرابلسي رحمه الله .. زارني في مكتبي الذى استأجرته في شارع الملك فيصل بجدة « تحول منذ سنوات بكامله » الى المبنى الذى أطلق عليه المواطنون « عمارة الملكة » وعرض على أن يسعى مع نفر من وجهاء جدة لأشغل منصب رئاسة البلدية فيها .. فشكرت له ثقته وعرضه الكريم .. وأعتذرت بما يشبه القطع بأن العمل الوظيفي لا ، ولن أفكر فيه أيا

كان .واستمزجت رأى بعض الاصدقاء في عمل المقاولات المعمارية.وكان



الشيخ جميل الحجيلان





الشيخ صلاح الدين عبدالجواد

الوحيد الذى شجعنى على الاقدام عليها هو الصديق الشيـخ صلاح الدين عبد الجواد باعتباره رائدا في ممارستها وكان أن سافرت الى لبنان للاستـرواح بعض الوقت .. والخلود الى الراحة من عنـاء عشتـه في تحصيل بواقى حسابات الجريدة من اعلانات واشتراكات ..

وهناك تعرفت على مهندس سورى رغب في التعاون معي .. وتحول مكتبى الى اعداد تصاميم معمارية كان أولها لمعالى الشيخ حسين عرب وأخرى للاخ الكريم الشيخ يوسف ابراهيم بكر .. مع الحصول عـلى أعمـال لبعض الادارات الحكوميـة وفي مقدمتهـا الحـرس الوطنى .. وافتتحت مكتبا آخر في الرياض ..

كما حصلت على أعمـال صغيرة في مبنى مجلس الوزراء المـوقر في جدة ..

وفي احدى زياراتى للسلام على جلالة الملك فيصل رحمه الله دار كلام بينى وبينه عن الحصيلة التى خرجت بها من جريدة البلاد .. وقد كان في حدود ستين ألف ريال عربى تقريبا .. عرضتها على أنظاره ليتأكد من أن كل ما قيل من أننا جمعنا الملايين من جريدة البلاد كان غير صحيح .. وقد بدا عليه الاستغراب .. ثم نظر الى متسائلا .. هذا فقط .. فقلت : نعم والحمد لله .. ثم سألنى عما أنوى أن أعمل .. فذكرت بأننى قـد انخرطت في سلك المقاولين .. وقد حصلت على أعمال من ضمنها تنفيذ أعمال في مقر مجلس الوزراء بجدة ..

فابتسم وقال معلقا .. لا أظنك تستطيع الاستمرار في هذا العمل .. لأن له أناسا قد لا يكون بوسعك مجاراتهم في أسلوب تعاملهم .. ولم أفهم ساعتها ماذا كان يعني ..!

ولا أدري عما اذا كان ذكائي قد خانني ساعتئذ .. أم أنني سرحت لكي أفكر فيما بعد في مضمون ماقاله ، وما يرمي اليه .. وبما قد أعيش فيه لتجربة أقدمت عليها دون غيرها .. كما وأنني أجهل كل أسرارها والحساسيات فيها ..

ولعل مبلغ الستين ألف ريال .. والتسهيلات الأولية المالية التي منحها لي بنك الرياض بحكم تعاملي معه أيام جريدة البلاد .. جعلتني أظن أن فوائض الربح من هذا العمل قد تغطي الالتزامات التي تعهدت بالوفاء لها ..


صاحب السمو الملكي
الأمير مساعد بن عبدالرحمن


معالي الاستاذ محمد عمر توفيق

وما قاله لي جلالة الملك فيصل رحمه الله أكده صاحب السمو الامير مساعد بن عبد الرحمن وزير المالية والاقتصاد الوطني في ذلك الوقت عندما قدمني اليه معالي الصديق الشيخ محمد عمر توفيق كمقاول- وقد كان يشغل منصب وزير المواصلات آنذاك .. فوجدت أن من المناسب أن أسمع تفسيرا من سموه لرأيه الذي طابق رأي جلالة الملك فيصل رحمه الله ..

فقال : يجب أن يكون عندك رأس مال كبير حتى لا تضطر الى الاستدانة من البنوك التي ستمتص معظم أرباحك .. ان لم يكن جلها .. وان تحذر غش الذين يتعاونون معك ..

وأن تكون على حذر أكبر من المشرفين على تنفيذ أعمالك ومحاولاتهم لمضايقتك لهدف قد يخفى عليك الآن .. ولكنه سينجلى مع قابل الايام .. وأردف قائلا : ثم لا أدرى وربما أتوقع أنك لست من طراز الاخرين فى هذا المجال ..

أما معالى الاستاذ محمد عمر توفيق فقد ذكرنى يوما : بأن أسلوب مقاومة مكر الاخرين بمكر مثله هو من أهم عوامل النجاح فى هذا المجال ان لم يكن فى كل المجالات ..

لكننى أعترفت له : بأننى لا أعرف المكر أساسا .. فكيف تتأتى لى ممارسته .. وفاقد الشىء لا يعطيه ..

ومضت سبع سنوات كانت عجافا فعلا سيجد القارىء معظم ملامحها وأنواعها واشكالها بين دفتى هذا الكتاب .. وأظن أنها ستفيد كل من يفكر فى الاقدام على أعمال المقاولات وما ينبغى لها من احتراز وحذر ..

وفى انهماكى مع هذه الاعمال .. وانغماسى حتى فروة رأسى .. أخذت الهموم تركبنى .. والقلق يعيث فى أعصابى .. خاصة وأن الحصول على « المستخلصات المالية المستحقة » عما أنجزته من أعمال كان يستقطع معظم أوقاتى .. ويستنزف كل اصطبارى فى الحصول عليها ..

وكان يشدنى الى كل هذا الذى عشته مكرها - كالقتال - النظرة المستريبة من مدير البنك الذى كنت أتعامل معه .. ففى كل مرة أسحب فيها مبلغا من المال لسداد الاجور .. واقيام المواد .. كان يغمزنى بأسئلة لا حصر لها عن موعد السداد أو ما يسمى بلغة البنوك تغذية الرصيد الذى يسمح لى بالاستمرار فى السحب .. وكنت فى كل موقف كهذا أشعر بأن ساقى لم تكونا فى موضعهما الطبيعى .. وأن وسائل الاقناع بالاحتياج الملح وبأن الامل فى الحصول على المستخلصات يوشك ان يتحقق اليوم أو غدا وعلى أكبر تقدير بعد غد كنت اشعر بان هذه الوسائل واهية .. ثم لا مستخلصات تنتهى فى الموعد الذى كنت أمنى النفس به .. أو على الاقل لأكون صادقا عند مدير البنك .. لأن أمزجة المشرفين على الاعمال .. ليست دائما على مايرام .. ذلك لان اعطاء هذه

الامزجة « الصفـاء المطلوب » لم يكن في حسبـاني قط .. انـطلاقا من ادراكي التام بأن اجادة العمل وتنفيذه هو أفضل عطاء أؤدبه وأقدمه ..

وهذا لا يعني أنني كنت غافلا عما تبحث عنه نظراتهم في عيني .. وأنا أرمقهم وقد أخذ التأفف منهم مأخذا .. لكنني كنت أرجع الى الماضي الذي كنت أحارب فيه عبر الكلمة محاولات الغش في أداء الاعمال كمبرر لقيام محاولات « الرشوة » كأسلوب كان يسود العلاقة بـين الاطراف اياها .. وما زال ..

ويعلم الله أنني كنت أمقت هؤلاء في سريرة نفسي .. وكنت أثور في وجه أي محاولة يراد منها الابتزاز لانجاز تلك المستخلصات بأسـرع وقت ممكن ..

كما كنت أضع كرامتي فوق أي أعتبار .. وقد يهون على الترجّي لمدير البنك .. لكن لم يكن ليهون علي - بشد الياء وفتحها - للمهندس المشرف على الاعمال ..

الا أنه - والحق يقال - فقد كان الرؤساء يميلون الى الحزم لصالحي بعد أن تأكد لهم حرصي على تقديم عمل يشار اليه بالشكر والتقدير ..

ولذلك فقد كنت أحرص بشدة للحصول على شهادات تقديرية عند تسليم الاعمـال بعد انجـازها .. كمـا أن عددا من المهنـدسين لاقـوا جزاءهم .. منهم من طرد من عمله .. ومنهم من نحي عن الاشراف على عمـلي .. ومنهم من تقرر التحقيق معـه .. وبالنتيجـة كنت الشفيـع للتجاوز عنه ..

وأخذ الغليان يستحوذني من كل جانب .. ولم يكن يسري عني الا أن أحبس نفسي في أحدى غرف المكتب .. وأبتهل الى الله أن يخلصني مما أعيش فيه .. وكثيرا ما بكيت بين يديه أسأله العون لاتجاه آخر غير الذي أنا فيه ..

وأخذت تأملات نفسي .. وقلبي .. وتفكيري تأخذ مني كل مأخذ .. وتهزني هزا عنيفا .. وقاسيا .. كما كنت أصرخ من أعماقي صراخ من ينوي الفكاك دون ظهور أي بديل أنحاز اليه .. أو أخرج اليه ..

فالديون تراكمت على كما يتراكم الظلام على الدنيا .. فلا أرض عندي

ولا عقار ولا أسهم لأبيعها لسداد الديون .. والالتجاء الى الاصدقاء فيه مهانة قد أذوق المر منها ..

وقررت فى أيامى السوداء تلك أن أصفى هذه الاعمال .. على الرغم من تشجيع الكثيرين من الزملاء والاصدقاء على الاستمرار .. خاصة وقد حققت نجاحا فى الانجاز .. مع تسليم الاعمال فى موعدها .. وبعضها قبل موعده .. ومادرى هؤلاء أن كل ماتم قد مزق أعصابى .. وأحالنى الى ماقد كان شبيها بالهلوسة .. والشعور بالمرارة والالم .. خاصة وقد تأكد لى بما يشبه اليقين أننى غدوت طعما سائغا للمستغلين من العمال واضرابهم .. ورفضت أن أنظر الى كل علامات التعجب التى كانت ترتسم على محيا المعجبين بنجاحى ..

وفى خلال عدة شهور أكملت انجاز مابقى على من التزامات .. لكننى لم استكمل حصولى على المستخلصات الا بعد شهور كانت أطول من الدهر ..

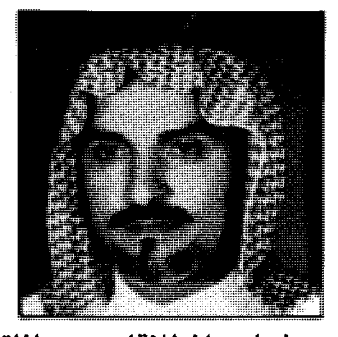
وأودعت فى البنك كل ما حصلت عليه .. ومع ذلك كان على أن اسدد الباقى مما يستحقه لدى المستحقون .. ولو أن هذا الذى بقى كان فى معظمه يشكل تسديد أرقام العمولات التى ترتبت على بفعل تراكم الديون ودورانها من عام لآخر ...

وللاحتفاظ بشرف التعامل وعدت بالتسديد عند سنوح أقرب فرصة تتوفر معها أسباب التسديد والوفاء ..

كيف انشىء مصنع عرفات ..؟

ومن حسن الحظ أننى حصلت على مبلغ لا بأس به .. وأودعته تحت رقم حساب اخر .. لاثبات حسن النية عند مدير البنك .. وسألنى عن السر فى ذلك .. فأوضحت له بأنى أفكر جديا فى انشاء مصنع لانتاج الطوب الاحمر .. كمادة أولى للبناء ولانها لم تكن متوفرة فى تلك الايام على الشكل المطلوب ..

والفكرة نشأت أساسا عندما ذهبت يوما الى صديقى الشيخ صلاح الدين عبد الجواد فى مكتبه أبثه شكواى مما كنت أعانيه .. وأعلن له أننى أوشكت على التخلص من أعمال المقاولات ..



حسن جمعان
الزاهرانى

فقال لى : أحسنت صنعا .. انطلاقا من معاناتها التى عاشها فى مثل المجال .. لكن الوضع المادى بالنسبة له كان يختلف عن أوضاعى ..

وصادف .. مجرد مصادفة .. أن كانت هناك عشرات « الاظرف » من بريده اليومى فاذا بمظروف كان شبه منتفخ فتحه واستخرج منه كتالوجات وبيانات فيها رسومات واشكال جميلة عن مصانع لصناعة الطوب الاحمر .. وبعد اطلاعه عليها ، دفعها الى .. فتاقت نفسى لها .. وأخذتها .. ثم أعطيتها لمن ترجمها لى .. وعرضتها على الابن حسن جمعان الزهرانى .. الذى له تاريخ حافل معى .. أبرز مافيه هو الاخلاص الصادق الامين .. وهتف وهو يتأمل كل المجموعات .. هل تنوى انشاء مصنع للطوب الاحمر ..؟

وسألته : مارأيك ..؟

فقال مستشهدا بواقعة مرت علينا وشيكا ..

ألا تذكر كيف ظللنا حوالى شهرين للحصول على بلوك أحمر من مصنع العامودى بجدة لاكمال المبنى الاضافى لفرع وزارة التجارة بجدة ..

قلت : بلى .. قال : هذا يعنى أن هذه المادة الأولى للبناء مرغوبة ومطلوبة دائما .. فلا تتردد ، وتوكل على الله ..

قلت : ولكن من أين لى المال ..؟

فقال : لن يعجزك الحصول عليه .. وأؤكد لك ياعم حسن بأن أى مبلغ تقترضه .. ستسدده فى بحر عام أو عامين على الاكثر ..

فقلت : ولكن النشاط العمرانى كما ترى ضعيف ولا أعرف متى ينشط وأخشى أن لا تغطى مواردنا مصاريفنا . ثم لا تنس أننا سنواجه

من يعمل على تعويقنا .. وطرح منتجاته بأسعار قد لا تتناسب مع ماينبغى أن نحصل عليه لسد المصاريف وسد القروض ..

وأستخرت الله بأيمان الواثق بخير العوض .. وأعددت خطابا للشركة أطلب منها الاسعار والمزيد من المعلومات ..

وجاء الرد بعد أسبوعين تقريبا .. ولم يكن يحمل أسعارا .. بل حمل استفسارات فنية عن الطين الذى سيستخدم لانتاج الطوب ..

وأسقط فى يدى ..!!

وطفقت أفكر فيمن عساه يدلنى على هذا « الطين » وبعد عدة أيام لمحت من بعيد الاستاذ معتوق باحجرى .. وكنت أعرف أنه يدير مختبرا تابعا للثروة المعدنية .. فاصطحبته الى مكتبى الذى كان قريبا من مكان تلاقينا .. وعرضت عليه الملف كاملا .. وهتف .. بسيطة .. ثم أخذ ينبهنى الى أهمية الحصول على ترخيص من وزارة البترول والثروة المعدنية .. كما أشار الى التفاهم مع مهندس جيولوجى يعمل فى فروع وزارة الزراعة والمياه للبحث عن مواطن الطينة التى تصلح لاستخراجها منها ..

واتخذت الفكرة مسارها لبداية التطبيق وتعاقدنا مع المهندس الجيولوجى ثم عرض نقل كفالته من الوزارة الى كفالة مكتبى حتى يتفرغ للعمل معى . خاصة وان الوزارة بصدد الغاء عقده معها ..

واكملنا اجراءات الانتقال .. ثم تعاقدنا على العمل لاكتشاف الطينة .. وتقديم توصيات عن طريقة استغلالها .. مع ابداء النصح عن الشركات الصانعة لمعدات مكائن صناعة الطوب .. وكان الذى تولى كتابة العقد هو الاخ الصديق زميلى فى جريدة عرفات د - محمد سعيد العوضى ..

وبعد توقيع العقد : قال : لقد تحولت من صانع كلمة الى صانع طوب ..

فأمنت على قوله قائلا : ولله فى خلقه شئون .. وبعد ..!

فأن قصة انشاء المصنع .. حتى إبتدأ الانتاج .. والمصاعب التى واجهتنى فى كل المراحل على اختلافها .. اضافة الى مصاعب التسويق ..

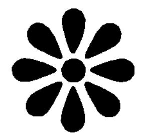
ثم التغلب عليها .. تعتبر من القصص التى كابدت فيها مالم يكن ليخطر على بالى ..

ولانها قصة تستحق التسجيل .. فان كتابتها .. أو اعادة صياغتها من مذكراتي .. ومن ذاكرتي تحتاج الى وقت طويل .. والى كتاب آخر ..

ان كتب الله لى عمرا .. مديدا .. فى صحة وعافية هما غاية الامل .. والمراد ..

إلى اللقاء

حسن عبد الحي قزاز



مذكرات جابي تحصيل

الحلقة الأولى

الحلقة الأولى

مذكرات جابى تحصيل

آن لى بعد أيام بلغت المائة يوم .. ان اكتب شيئا عن لذة عشتها من وراء عناء ومشقة وكانت ممارستها مصدرا ثرا لتلك اللذة العجيبة .

والعنوان هو تفسيرها .. « لذة جابى تحصيل » ..

لقد كان بوسعى أن أوكل الجباية أو التحصيل إلى من اظن أن عنده القدرة الى جانب الامانة للقيام بعملية التحصيل وذلك تنفيذا لنصيحة بعضهم ممن أكن لهم ود الأبوة وود الصداقة على نحو كبير .

اذ هم بنصيحتهم هذه أرادوا لى تجنب كثيراً من الحالات التى واجهتها وعشت فى ممارستها .

من الذى أرادوه لى أن لا أقف على أبواب الدوائر وعلى مكاتب الموظفين أراجع وأعقب كما رأيت الكثيرين من أصحاب المحلات التجارية الكبيرة يفعلون على مستحقات الجريدة التى املك نصفها منذ قمت بتأسيسها يوم ١٦ رجب ١٣٧٨هـ حتى ٢٩ شوال ١٣٨٣هـ على اثر اندماج البلاد السعودية وعرفات .

غير ان خبرتى بالعمل الحكومى الوظيفى كموظف قديم وخبرتى أيضا بنفسية الموظفين ومايحتاجون إليه من دغدغة لمشاعرهم ولعواطفهم ـ بصرف النظر - عما يجب ان يكونوا عليه اقنعتنى ان القيام شخصيا بعملية التحصيل ربما ساعدت على السرعة المطلوبة للفراغ منها أو من اكثر اجزائها .. رغما عما قيل لى من أن هذا العمل قد يعرضنى احيانا الى ماقد يخدش الكرامة الشخصية للوضع الاجتماعى الذى اعيش فيه .

لقد كان هذا آخر مافكرت فيه .. لان الكرامة انما يحفظها الانسان لنفسه باسلوب (الورم) - بفتح الواو والراء - المشهود .

ولقد ضحكت طويلا عندما فسرها احدهم الى هذا الحد من الاعتبار اذ لعل صديقي خشى إن اوصم بهذه الوظيفة فى دنيا حياتى العملية أى أن اسمى (جابى تحصيل) حتى ولو كان الأمر يتعلق بحق شخصى لى .

وكعادة ـ كل إنسان ـ فلقد شعرت يوما بهذا الشعور.. وبدأ الغرور يركبنى على نحو يكاد يعطل عندى مفهوم الحياة وألوانها المتعددة ولكننى رفضت أن يتركز هذا الوهم فى نفسى وأحللت محله يقينا بأن الانسان مهما كان من المقام لابد له أن يباشر اعماله بنفسه ، وأن يرعى شئونه بنفس الاهتمام الذى يحقق لها الانجاز على وجه صحيح.. وبقدر من الاتقان الذى يتفق مع امكاناته .

وإلا فما أضيع الحياة ، ونحن نمارسها على عكس هذا المفهوم .

وبادىء ذى بدء قام عندى شىء من الترجيح بأن مشاكل حسابية سألقاها مبعثرة هنا وهناك .

فلقد كانت هناك خانات حسابية مكشوفة تظهر فى الميزانية على أنها أرباح .. فاذا بها مكشوفة قيدا دفتريا وليست واقعا مستحقا لدى الجهات المكشوفة قيوداتها فى حسابات الجريدة .

وتأكد الشك بماقطعه اليقين .. وغدوت اقول للموظفين ادفعوا مالم يصرف .. والذى صرف فعلا اعطونى اخطاراً عن الذى استلمه .

تجربة ناجحة

ولقد خطر ببالى قبل العزم على السفر إلى الرياض بعد ان رتبت من أثق فيه للقيام بنفس المهمة فى كل من جدة ومكة المكرمة .. أن استغل أدبيا صداقة الوزراء ووكلاء الوزارات وغيرهم من الكبار وكذلك رؤساء الادارات الاخرى ومديرى الشركات وغيرهم من العملاء فى التوصية على تسهيل مهمتى لدى الموظفين المسئولين عن انجاز هذه العمليات .

وصدفة واجهتنى تجربة كان لها من النفع ما افادنى كثيرا بـدون

الحصول على التوصية التى عزمت على استصدارها اذ ذهبت إلى أحدى الوزارات ، وقابلنى احد موظفيها الذين تربطنى بهم صداقة صحفية فقد حيانى وسلم على بحرارة بدا لي أنها صادقة حقا .

فسألته عمن يكون ؟ فاذا به من الاصدقاء الذين يعرفوننى من وراء الجريدة .. اذ لم يسبق لى التشرف بمعرفته ولارؤيته على الاطلاق .

وأحسست بعواطفه الكريمة أن الحب يعيش بين الناس حتى من بعيد ..لبعيد ..

ومن لطف الله على بأننى لست من الذين قال عنهم الشاعر : سماعك بالمعيدى خير من ان تراه .

فلقد لمحت علامات التعجب على وجه صاحبي اذ رآنى شابا أقفز الدرجات معاق بينما كان - على مابدأ عليه - يظننى انسانا ادلف الى الستين .. وليس فوق الأربعين بنيف من السنين ..

وشعرت وانا اتفحص وقفته وهو يحملنى بعينيه « من فوق لتحت » بان شيئا ماتراوده نفسه على ابدائه .. وبادرته السؤال : هل الوزير موجود ؟ فقال : لا .. انه سافر الى جدة مساء أمس ..

واطرقت برأسى الى الارض ، ثم قلت له : شكراً .. ومددت يدى لاحييه وأؤكد له تقديرى على حفاوته القلبية بي .. ومستأذنا منه للانصراف .. ولكنه أمسك بيدى وعرض على خدماته .. في لطف وتأكيد وشدة عزم ..

وحبكت معي النكتة اذ قلت : اننى أمثل الان دور « جابى تحصيل » لحسابات جريدة « البلاد » الآفلة من ١٦ رجب ١٣٧٨ هـ حتى ٢٩ / ١٠ / ١٣٨٣ هـ ..

وسألنى هل هي كثيرة ، حتى يحتاج الأمر الى توصية وزير .. تعال معي من فضلك وأضاف : وتأكد أن كل الموظفين ، الموظفون الصغار سيكونون فى خدمتك دون أى حاجة لرجاء وزير وتوصية كبير ..

وخجلت من نفسي حقا ، وذلك لأن مفهوما ما قد تأكد فى معرفتى بشهامة الموظفين الصغار عندما تدغدغ عواطفهم بكلمة رقيقة ، يحسب كل موظف انه « الفعال » وانه المنجز ، وان أمر المعاملات كلها بيده ، لا بيد غيره من كبار الموظفين .. وهذا لايعنى الشمول الا انه يعنى

الغالبية منهم على اكبر تقدير ..

وأخذ بيدى الى أعلا دور ، وهو يقفز أمامى قفزاً ، وأنا أتبعه بنفس القفز والنشاط ودخلت في غرفة طويلة ضمت عددا كبيرا من الموظفين ، ووقفنـا عند أحـدهم .. وقدمنى الصـديق الكـريم اليـه .. بـاسمى ، وبالماضى أيضا ، وببعض كلمات خجلت منها .

ووقف زميله محييا في ترحيب لطيف ، وقال : ان معاملات الصحف كلها هو الذى يقوم بتجهيزها للصرف .. متى ما استوفت كل شروطها .. ثم أردف يقول لى : ان شيئا من معاملات جريدة البلاد جاهز ، لم يبق عليه الا الطوابع والتوقيع على اذونات الصرف . وابتسمت فلقد كنت احمل الطوابع بمختلف فئاتها وانواعها في حقيبتى الصغيرة الانيقة .

وسألنى الأخ أليس لكم مندوبون يراجعون ؟ فقلت بلى : الاهمال يـاصديقى الكـريم .. إن دنيانـا ياصـديقى فيهـا الذين لايكتـرثـون بواجباتهم على النحو المطلوب . ذلك لأنهم يعتبرون انفسهم أكبر من لقمة العيش التى يحصلون عليها .

وفيما كنت اتحدث اليه لاحظت ان كرسيا انيقا وضع ، وفنجانا من الشاى يقدم الى والابتسامات والاستفسارات تحيط بى من كل موظف ضمته تلك الغرفة الطويلة العريضة .

وانتهت الاجراءات اللازمة على الجاهز من المعامـلات وأخذت من الموظف المذكور وعداً حازما بأن الباقى سينتهى غدا .. ولو ادى الأمر إلى انجازه ليلا في مكتبه هذا أو منزله .

فشكرت الاخ على اهتمامه فرد على ، وكأنه يرفض الشكر حينما قال : لا ان خدمتكم واجبة ..

وفى الطريق الى وزارة أخرى قررت اللجوء إلى مثل هذا الموظف .. ونجحت التجربة .. ولو ان بعضهم لم ألق منه نفس الاهتمام ، الا اننى كنت اخيرا انجح في خلق الاهتمام المنشود في أنفسهم .

ومـع ذلك لم تخل مـواقفي - في تفاصيلهـا - من بعض العنعنات والتعقيدات ، غير ان معظم مصادرها هو اهمال واضح وقع من الادارة اساسا .. من ادارة جريدة البلاد .

ففي الظهر و في المساء كنت اتصل تلفونيا بمكتبي الخاص في جدة من الرياض ، اطلب أعداداً ناقصة أو أطلب تعديلا لفاتورة ارسلت خطأ .. الى آخر مايلابس العمليات الحسابية من اخـطاء متداولة ، او اقـوم شخصياً بخصم مايعتبر زائدا عن واقع المطلوب واوقع تحته.ثم ان مشاكل من نوع قد تبدو غريبة ولكن الغرابة فيها ان الامـر بها كـان مؤخرا.. ذلك ان ديوان المراقبة العامة يطالب الصحف بأن ترفق نص الاعلان مع مذكرة طلب النشر .. فقلت : ان هذا غير ممكن .. لان الاعلان نفسه يودع في المطبعة لجمعه وطبعه .. وادارة المـطبعة تحتفـظ به كمستمسك لديها عند الحسابات او التحقيق كما هو الحال في المقالات ونشرات الاخبار كما يقضي بذلك نظام المطبوعات .

ويبدو أن إخواننا في ديوان المراقبة العامة لم يـدركوا هـذا حتى يطلبوا من الدوائـر الرسمية ضـرورة ارفاق نص الاعـلان ، دون أن يـؤكدوا عليهـا بأن تبعث بصـورتين من نص الاعـلان ، حتى يمكن لادارات الصحف إن تبعث بالنص مع مـذكرات اوامـر النشر .. ففي وزارة الصحة ، تبلغت ان المراقبة العامة طلبت منها ان تحسم علينا غرامة قـدرها تسعـون ريالا .. لاننـا نشرنـا اعلانـاتها عـلى يومـين متعاقبين ، بدلا من يوم بعد يوم حسب نص أوامر النشر .

وهذا دليل قاطع على مايتمتع به الموظفون في المراقبـة العامـة من حرص بالغ على مصالح الدولة حتى ولو في الشكليات تماما كالملف الذى يدور طويلا طويلا من أجل طابع مالى واحد .. قيمته قرش واحد لم تستكمل اجراءات وضعه على معاملة ما .. ربما لئلا يغفل الموظفون مستقبلا عن امثال هذا النقص الخطير في الاجراءات على حد مفاهيمهم .

فائدة الدولة من الاعلانات

إن الدولة نفسها كانت وستظل تستفيد من نشر إعلاناتها فى الصحف بعمومها ذلك لأنها الوسيلة الوحيدة التى تسلط الأضواء على نشاط الدولة ومشاريعها المتعددة . وهى المتمثلة فى إعلان مناقصاتها ، وفى إعلانها عن طلب المزيد من الموظفين للعمل فى مجالات متعددة وواسعة وغيرها .. وغيرها ..

حقا ان الاعلانات الحكومية ذات تشجيع مـادى للصحف .. ولكن الصحف كانت ولاتزال ذات اعلام مقروء لايستهان به إطلاقا كاعلانات التجار تماما .

البند .. نفذ

ومما لاحظته أن مقدار المبالغ التى توضع فى ميزانيـات الوزارات والادارات الرسمية الاخرى لاتستوعب كل مطلوبات الصحف من أجور إعلانات وقيم اشتراكات غير ان عمليات المناقلة المعروفة هى التى كثيرا ماتقضى على هذه المشكلة الى حد ما .

فلو حدث ان تمت المناقلة من بند متوفر ، الى بند نافذ ، فانه لايجوز اجراء هذه العملية لاكثر مماهو مخصص فى البند الذى ستجرى المناقلة إليه .. ومع ذلك فان المبالغ قد لاتسد هذه المتطلبات بعمومها ..

ولذلك فان بعض حساباتنا سـوف يؤجـل الدفع لهـا حتى صدور ميزانية ١٣٨٤ ـ ١٣٨٥هـ وذلك ما لمسته من بعض الوزارات .. على أنه بالامكان ان تقـوم الوزارات وغيرهـا باجـراء مناقلة بـالنسبة لبنـد الصحف والمجلات من وفورات البنود الاخرى لدفع قيم الاشتراكات إستنادا إلى قرار مجلس الوزراء رقم ٣٠ عام ١٣٧٤ أجور الاعلانات من بند النفقات المتنوعة وفقا للتعليمات المالية او الاستئذان من مجلس الوزراء لاجازة الصرف فى حالة التجاوز حسب التعليمـات الصادرة بهذا الخصوص

الممثلون الماليون

وهؤلاء عليهم واجبات دقيقة اهمها تنفيذ التعليمات بدقة وحرص بالغين ..

وهذا امر لاغبار عليه .. غير ان وجود الممثل هنا وهناك تتوزعه وزارات وادارات أخرى قد يسبب بعض التعطيل ، وليس التعطيل كله .. والتعطيل هنا للمعاملات المستعجلة ، وذلك لأنهاء المطلوب من الممثل المالى الذى يعتبر عينا مفتوحة الحدقتين لوزارة المالية والاقتصاد الوطنى على كل مايصرف قرشا قرشا .. فعليه ان يدرس الملف الذى يأتيه من الادارة المالية دراسة وافية لكل شروط المعاملة واعتماد الصرف للمستحقين من حقوق إذ ليس يكفى من الممثل المالى ان يعتمد الاجراء على مسئولية الادارة المالية فهو يعتبر مسئولا على انفراد امام وزارة المالية عن كل مايوقع عليه للصرف اما مسئولية الادارة المالية فانما تواجهها امام مفتشى المراقبة العامة ومراجعى الحسابات فى الديوان اذ هم عينها التى تدقق وتفحص الأعمال الحسابية بالدقة التى رسمتها التعليمات العملية والادائية مما لايحتاج إلى شرح أو تفصيل .

إن من الممثلين الماليين من يشكو من الارهاق لان عليه ان يدرس اى معاملة ترد اليه للصرف دراسة مستفيضة قبل اجازة الصرف .

وهذا قد يستغرق منه بعض الوقت .. الأمر الذى يقابله تضايق ظاهر من أصحاب المعاملات ولهذا فقد اقترح أحد الممثلين أن يكون الممثل هو مديرا للادارة المالية فى الوزارات والادارات الرسمية بحكم ان مدير الادارة المالية يلم كثيرا وبالتفصيل بكل أدوار المعاملات المستحقة للصرف متفهما كل دقائقها وعقدها وفى هذا على مايعتقد توفير للوقت والجهد وللاداء

غير أن ممثلا ماليا آخر قال :

إن المعاملات المعقدة او الطويلة الاجراء لاتستغرق وقتا طويلا حتى يمكن اللجوء إلى هذا الاجراء فبنود الصرف معروفة وشروطها مفهومة .

أما مدير إدارة مالية فى وزارة ما .. فقد قال :

إن هذا يخلق احتكاكا لاداعى لخلقه بين مدير الادارة المالية والوزير أو وكيله او المدير العام لأن حالة الازدواج هذه من الناحية النفسية قد تعرقل حالة التعاون الأدائى بينه وبين المرتبط بهم حاليا فى العمل الوظيفى .

وبعد فان تجربتى هذه دلت على أن عملية التحصيل تحتاج الى ذكاء ، وإلى أمانة وإلى صبر طويل والى رحابة صدر خاصة لأناس من نوع خاص .. ولذلك لابد من اختيار « الجابى » على أن يكون متمتعا بكل هذه الميزات لأن المراجعة الدائبة للحصول على الاستحقاق المطلوب فى حاجة الى مثل هذا الانسان الواسع الحيلة فى الأسلوب والمداورة ، وجذب العواطف لأن المسألة ليست مسألة حق واضح فحسب بل هى مسألة القدرة على ممارسة تحصيل هذا الحق فى وقت معقول وبطريقة معقولة .

ولاأظن أن بوسع أى إنسان أن يصبر كثيرا على مثل هذا العمل الشاق ، الا إذا كان هو صاحب الحق فانه حينئذ سيشعر باللذة التى شعرت بها على نحو ما .



مذكرات جابي تحصيل

الحلقة الثانية

الحلقة الثانية

مذكرات جابى تحصيل

مواعيد الدوام الرسمى فى حاجة الى تعديل ..

وتنظيم الاعمال فى الادارات الحكومية فى حاجة الى غربلة ..

قصص أغرب من الخيال عن عجائب الروتين والنظام ..

وأعتقد أنه لن تجف الاقلام قط عن « النز » فى الكلام عن الروتين ..

انه شىء غدا كالعقد النفسية التى يبدو أنه لا فكاك لها ولا أمل .. عند كل من يعيش فى « الوهم » بأنه مبتلى بكذا .. وممتحن بكذا .. فلا يحاول أبدا أن يتصرف على واقع الحال أو المشكل أو العقدة ذاتها .. إذ ربما بدا له أن وهمه كان غشاء .. يستطيع أن يجلوه ليعالجه ويتخلص منه .. فالركود الذى يسود الاعمال بفعل الروتين .. هو نفس الركود الذى يعيشه الموظفون فى تناول « اللوز والسندوتش » وتبادل الزيارات فى داخل المكاتب .. والاستعداد منذ الساعة الخامسة صباحا لأداء صلاة الظهر .. والتى لا يفرغ منها بعض الموظفين الا فى حدود السابعة على أقرب تقدير ..

الدوام الطويل جدا

تأمل فى لحظات هذا المثل ..

البريد يصل فى الساعة الرابعة صباحا - يتناوله كاتب الوارد للمعاملات - ثم يبوبه الى جانب ما يستقبله من الادارات الاخرى عموما .. ويأخذ فى القيد والتسجيل ..

ثم تحين الساعة الخامسة .. وللتجاوز الخامسة والنصف ثم يؤذن

المؤذن لصلاة الظهر .. « وهات يانوبة وتزاحم على الحمامات للوضوء » ثم تؤدى الصلاة من كل الفراشين والمراسلين ومأمورى السنترالات .. وقلة من الموظفين .. غير أن منهم من يستغل وقت الصلاة ، لا للصلاة نفسها ولكن « للزوغان » فى مشوار خارج مقر عمله ..

وفى الايام الاخيرة من العام الدراسى - أى فى فترة الامتحانات - تسأل عن فلان .. كاتب السندات .. أو كاتب الصادر .. أو ..أو .. فيأتيك الرد فورا .. (عنده) أختبار .. امتحان .. وتمط شفتيك .. ثم تتساءل ..

أليس هناك من يقوم مقامه .. وهذه الحالة يحسن السكوت عنها .. لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ..

لقد عشت جوا من المرح وأنا أداعب الاصدقاء من الموظفين عندما يسقط فى يدى ، وأعلم بأن معاملتى ستتأخر الى تباشير صباح اليوم التالى الذى يبدأ نشاطه فى تمام الساعة الثالثة صباحا .. ويستمر النشاط - والحق يقال - حتى الخامسة والنصف أى الى حين يؤذن لصلاة الظهر ..

وبعد أدائها .. يتجه الذهن الى المنزل أو الى المطعم .. كذلك عامل حرارة الصيف .. له تأثير كبير على النشاط اياه .. وعقب الظهر .. حيث تشتد وطأة الصيف والقيظ معا ..

ثم ان تعطل التيار الكهربائى بعد كل فترة وأخرى ليلا ونهارا مما ينجم عنه توقف المكينات .. عدا انه أصبح كالعادة أو « اللزمة » التى أمست مجالا للنكتة والتندر على شركات الكهرباء عموما فى مكة وجدة والرياض وغيرها من المدن الاخرى ومن كافة الطبقات وليس من طبقات موظفى الدوائر والوزارات .. فانه يتسبب هو الاخر فى زيادة نشاط « الموظفين » للتنطع .. ومن ثم الزوغان .. كأى سبب له ما يبرره .. أفليس هو « القيظ ومضايقاته » ..؟

العذاب والثمن

ان علامات التأفف تجدها على كل وجه .. ومع كل منـديل يجفف العرق . حتى لاحظت أن بعضهم أمسك باحدى الصحف ومزقها قطعا أمامه لتساعده على تجفيف العرق بعد أن « نشر » المنديل للتجفيف ..

وجلست يوما ، أسرح بخيالى وأنا قابع بفندق اليمـامة بـالرياض والعرق نفسه يتصبب من جسمي .. ومن الزبائن .. كيف كنا في الماضى لا نشعر بهذا التأفف .. والصيف هو الصيف .. لكننى أدركت بـأنه مادامت قد انعدمت لدينا القدرة على المقاومة بفضل الكهرباء فان الامر طبيعى .. ثم اننا دفعنا تأمينا .. واشتراكا وتكاليف ادخال التيـار .. واشتـرينا الثـلاجة .. والمكيف والمـروحة .. وغيـرها فلمـاذا نعذب بعطلها .. ويتأكد العذاب .. اذا لم تسدد الفاتورة فى ظرف كذا فسيقطع عنك التيار .. « بالسكين » ونحن لا نملك أى « سكين » لنقطع الفاتورة التى هى عبارة عن ورق يتحرك فى قوة الريال الذى يـدفع الى جـانب عذابنا من شركات الكهرباء .. وان استطعنا فعل شىء ما .. فلا أكثر من أن « ننقعها » فى « شوية » ماء لتتجـرعها سـاخنة ، وأحيـانا بـاردة كبرودة اعصاب المشرفين على شركات الكهرباء .. او فى برودة أعصاب المسؤولين فى جهاز وزارة التجارة والصناعة ..

هذا كلام سوف يضاف الى « الارشيف » فلنعد الى بداية المقال ..

قصة الموظفين لا بد لها من حل .. وحـل حازم .. فهـل كل النـاس يستطيعون التعقب على معاملاتهم .؟ طبعا لا .. والسفر الى الرياض ؟ طبعا لا ..

اذا أرسلنا فاتورة الى وزارة ما .. فلا بد من توصية صديق ويشترط أن تكون « عزيزا جدا عنده » ليعقب على فاتورتك .. أو معاملتك ..حتى يتممها .. ولكن هل كل صديق عنده العصب . ولديه الحرص على تحمل متاعب لا حصر لها ولا حدود ..

زفة العروس او رحلة المعاملة

اسمع إذا :

تذهب المعاملة فى البريد .. محمولة فى بعض الاحايين وكأنها على جمل .. وعندما تصل تأخذ نوبة فيحلو لها النوم فى الادراج .. فى أدراج بعض الموظفين ..

بعد قيدها فى دفتر الوارد ترفع الى المسئول الأقرب .. ثم ترفع وترفع .. وترفع الى المسئول الأبعد فالأبعد حتى تصل الى الأعلى ..

ثم تعود فى سلحفائيتها بعد « الشرح » وفى زفة كزفة العروس الى كاتب الواردة نفسه ليودعها بالقيد الى من يقوم باجراء اللازم ..

والذى يجرى اللازم .. يستلطف (العروس) أياما .. لأن الشغل متراكم .. والساعات مملة وطويلة .. من الساعة الثالثة صباحا حتى الخامسة والنصف صباحا .. وهات يا تعقيد .. حسب النظام .. من واحد لواحد .. ولكل رأيه فى حرفية النظام .. حتى التعليمات التى ترد كل أسبوع وكل شهر لتضاف الى النظام كتفسير وشرح له .. تخضع هى نفسها للاراء متعددة الجوانب .. والافكار .. والمفهومية ..

وتمر الايام والليالى .. والساعات الطويلة على العروس .. ومنذ الساعة الثالثة صباحا وحتى أذان الظهر وأداء الصلاة ، تأخذ المعاملات حظها من التفسير والشرح .. ولطع أرقام الصادر والوارد على محياها الجميل كأحمر الشفاه حتى لتكاد لا تتبين هذا الرقم أهو رقم الصادر أم الوارد وهل هو رقم المكتب العام أم مكتب الوزير .. أم الادارة المالية أم شئون الموظفين ..

وتتهادى الاوراق « العروس » فى تيه ودلال .. من والى التدقيق .. ثم الى الحسابات ثم الى الممثل المالى .. ثم الى مدير الادارة المالية أو العكس بالعكس .. ثم الى كاتب الحصر ..ثم تعاد الى كاتب الصادر ثم تحمل فى رفق وتؤدة خشية أن تخدش أو يتورم محياها الى مجموعة من الموظفين ليلطع كل منهم رقما عليها .. لدرجة تمزق العصب والصبر الطويل معا .. ترى هل فى وسع كل انسان أن يصبر على هذا الروتين ..

ولكنها الحاجة .. وكربات الاحتمال في سبيلها .. والبحر ماشاء الله زاخر بالمياه . والجدار صلب .. والنظام هو النظام ..

مواعيد الدوام فى حاجة الى تغيير

ان مواعيد الدوام في حاجة الى تغيير .. وفي الصيف بالذات ..

فلماذا لا نجعل الدوام في فترات الصباح من الساعة الثانية عشرة صباحا ، خاصة اذا أدركنا ان الشمس تكون في هذه الساعة في كبد السماء كما يقولون .. وحتى الساعة السادسة ، اذا كان العمل في الصيف هو ست ساعات فقط ..

وبورك لامتي في بكورها .. أو كما قال عليه الصلاة والسلام ..

أو أن نحدد لوقت صلاة الظهر نصف ساعة فقط ..

ولقد ناقشت هذين الامرين مع كثير من المسئولين وعلى رأسهم بعض موظفي رئاسة الهيئات الدينية فقالوا نعم : يجب أن يحدد الوقت بنصف ساعة وهذا يكفي وزيادة .

أو أن يبدأ العمل في أيام الصيف في الساعة الثانية عشرة صباحا .. وهو وقت معقول ومقبول ومريح أيضا ..

ان هناك من يحيلون الموقف الى الأخلاق بتفاصيلها وممارساتها ، فلقد فهمت من بعضهم أن بعض الموظفين عندما يناقشون في أمر اتخاذهم وقت الصلاة ذريعة لتعطيل واجباتهم ساعتين واكثر .. يهددونهم بالشكوى الى ولاة الامر .. لكأنما كان النقاش للجمع بين خيرى الدينا والآخرة وسيلة من وسائل صرفهم عن أداء الصلاة .. في أوقاتها ..

هذا هو المفهوم .. تماما كاختلاف المفاهيم في تفسير مدلول الانظمة والتعليمات كأنما وضعت بغير اللغة العربية التى هى سيدة اللغات ..

غير أن هذا لا ينفي أن بعض مواد الانظمة تحمل ألفاظا بوسع بعضنا تحميلها عدة معان وصور .. وهذه فعلا مسألة تحتاج الى نظر لقطع دابر الشكوى .. ودابر اللف والدوران .. كما قد لا يخفى .. ولئلا يكون هناك مجال للتحايل على مدلولاتها حسب الهوى والاغراض

وحاشا للنفوس التى تحمل الخير بين طياتها ..

لابد من غربلة

ان تنظيم الاعمال وادارتها في الادارات الحكومية ينبغي ان يبنى على أساس المفاهيم الصحيحة .. ومدى قابلية كل موظف لهضمها الهضم الطبيعي المفيد .. فالمسألة ليست مسألة عمل يؤديه الموظف كيفما اتفق .. ولكن عليه أن يدرك مسئوليته وأن يتفهم مسئولية غيره ..

وهذا - في يقيني - لا يحصل الا إذا انعقدت عدة دورات تلقى فيها محاضرات قيمة تعطى للموظفين تباعا كنوع من أنواع الثقافة التى يمارسها معهد الادارة العامة ، على أن لا يكتفى بهذه المحاضرات بل يجب مراقبة طريقة تطبيقها أثناء العمل وباستمرار .. إذ ليس مثل (النز) فعالية لخلق الدافع النفسى والحيلولة دون انحرافه .. والزوغان عنه ..

فمثلا : في وزارة ما .. أرسل موظف مختص في احدى شئونها ملفا يشرح فيه تفاصيل مشكلة معاملة لديه .. ووضع لها طريقتين لحل معضلتها ، فما كان من رئيسه المباشر الا أن رفعها للاعلى حتى ذهبت للرأس في الوزارة .. والذى بدوره شرح عليها يسأل الوكيل رأيه ، فما كان من الوكيل الا أن أرسلها للمدير العام بنفس السؤال ثم عادت أخيرا للموظف المختص اياه .. بدون ايجاب حاسم على طريقتيه المعروضتين ..

ان غربلة ضخمة ومتواصلة ينبغى أن تقوم .. فالوضع على ما رأيته في الدوائر الرسمية هو « التكديس » من غير ما انتاج فعال مثمر مفيد .. مع ما يتناسب أو يتناسق مع حالة التكديس هذه والتى ربما سميت في مجال الرد بأنها (توزيع المسئوليات والاعمال حتى تسير سيرا سريعا) ..

فحالة التدويخ ، أو التدويج سائدة حتى بين الموظفين أنفسهم .. فضلا عن تدويخ وتدويج المراجعين ، وقد ضاع بين الموظفين الصالح منهم ، والفاهم والواعى .. لدرجة قد يصعب معها التنظيم المرتقب ..

اذا فلا بد من الغربلة على أسس اختبارية شاملة .. وعلى قمتها « القابلية والاستعداد » ذلك لأن شرط القابلية والاستعداد متشابه تماما مع قابلية طالب للعلوم الادبية وبين قابلية آخر للعلوم العملية .. والا فما أضيع التنظيم على أشكاله وصوره المتباينة .. مما يخشى تفاقمه إن لم تتداركنا رحمة الله ..



أنا حاطط المدير بتاعي في جيبي ..

مذكرات جابى تحصيل

الحلقة الثالثة

الحلقة الثالثة

مذكرات جابى تحصيل

سألنى صحفى ناشىء .. يعمل موظفا فى احدى المصالح الحكومية .. كيف يمكن الحصول على الاخبار ؟

كان هذا السؤال قد طرح على أثناء تجوالى فى الرياض بين الوزارات والادارات الأخرى .. ممثلا لدور « جابى تحصيل » كما هو معروف ..

فقلت له - ما ظننت أخر الأمر - أنه كان موجزا ..

إجلس فى حضرة مسئول .. ودردش معه ما وسعك أن تدردش .. ولا تحاول قط أن تسأله - فورا - ماهى الاخبار .. انه سوف يضيق بك حتما .. ويعتبرك خال شغل .. أى « فاضى » .. وربما تحول الجواب الذى « تتحرق له » الى نفس السؤال .. إذ قد يسألك .. بل أنت ماذا لديك من أخبار ..؟

إسأله عن متاعبه فى العمل ، وعن المشاكل التى يواجهها فى التفاهم مـع موظفيـه ، وعن العقد التى تحفـل بها المعـامـلات .. وعن اللف والدوران . الذى يتمتع به بعض المراجعين من ذوى المصالح والحقوق الغامضة وطلاب الوظائف .. وممن يجـدون متعة فى الزيـارات أثناء الشغل من باب التفقد فى دتيا المجاملات التى لا تنتهى ..

انك بسؤالك هذا سوف تتيح له فرصة للترويح عن نفسه - المفعمة فيما قد يبدو - بهذه المشاكل عموما ..

ويشعر الى جانب هذا بأنه واجد فيك انسانا عطوفا ورؤوفا به .. لأنك استطعت أن تدخل الى قلبه بسرعة الصوت أو الضوء معا ..

ذلك لأن معـظم الناس يحلو لهم فى هـذا الزمان أن يتحـدثوا عن متـاعبهم .. ومشاكلهم ومن زاويتهم الخـاصـة .. وحتى عن عقـدهم الشخصية ، ليتخلصوا على الأقل من ضـرورة كتمانهـا . كأنمـا هى

(غصة فى قلوبهم) ولأنه ، كما يظن ، ربما وجد عندك حلولا لها .. أو أن تهز له رأسك موافقا ، ومؤمنا ، على كل مايقول ويشرح .. أو أن تستعمل له أسلوب « أم طقة » حينما تبدر على لسانه التساؤلات المتداولة ، كأنما ليأخذ موافقتك على أن مايشكو منه صحيح مائة فى المائة وبأنه لا يليق ، الى آخر « المزمزة » الكلامية التى تطوح بالرأس ، وتنتهى بالتدويخ ..

فاذا أصابك - لا سمح الله - الكلال ، والملال ، وأحسست بأنك خرجت من المقابلة فى حالة « دايجة » وأن الحديث غدا ، وكأنه لا أول له ولا آخر ، وان المعنى فكرة الخبر ، لم تعد صالحة لأن تكون خبرا كما قد يلوح بفعل « الدوجة » التى كنت أنت سببها .. فأسرع الى أقرب - بسطة - وأجلس القرفصاء .. ان كانت ذاكرتك ضعيفة .. ودوّن كل - الدش - الذى عشت جوه ثم استخلص منه الاخبار ..

وبعدئذ ستشعر بأنك خرجت بأخبار ضخمة .. منها :

اللطيف ، ومنها الرشيق ومنها ما توضع علامات استفهام حوله .. ومنها مايحدث ضجة فى المجتمع .. ومنها ماقد يجعلك عرضة للتكذيب بعد التحقيق ، من الكبار ، وبنفس مستوى الاعجاب الذى قد تناله من أصحاب الجريدة ورؤساء تحريرها .. وربما قد تدرك . بعد فوات الاوان . بانك فضحت بعض الاسرار أو حتى معظمها ..

وتطلعت الى الصحفى الناشىء أتفحص فى وجهه أثر هذا الكلام ..

غير أنه سألنى .. هل أنت كنت تفعل هكذا ..؟

فقلت : نعم ..

ثم لملمت مشلحى .. وهممت بالانصراف ، فاذا به وبزملائه يمسكون بى لتمثيل نفس الدور .. ولكى أتخلص منهم ، قلت لصاحبى السائل : أكتب ..

وأمليت عليه مجموعة من الاخبار .. فكتبها وأرسلها الى احدى الصحف .. وبعد أسبوع اتصل بى تلفونيا فى الفندق وقال لى : لقد نشرت كل الاخبار ، وأحدثت ضجة فى الوسط الذى أعيش فيه وغيره ، ولكنه أبدى لى أسفه لأن اسمه لم تتوج به الاخبار التى أرسلها .. وأنه

« زعلان » فهدأت خاطره ، ونصحته بأن لا يستعجل . فلا بد يوما ، أن صاحبة الجلالة الصحافة ستعقد له هذا اللواء ..

الارقام تتحدث ..

وفي وزارة أخرى ، سئلت عن رأيي في - صحافة المؤسسات ..

وسكت .. وعاد السؤال يلح ، ويلح ، فسكت باصرار .. الا أن أحدهم . « هداه الله » رماني بالجبن أو الخوف .. من أصحاب المؤسسات . ولو أنه قدر لي أن أكون من ضمنهم .. ودغدغ أعصابي بالاسلوب اياه .. عندما كنت أدغدغ أعصاب الناس بكيفية الحصول على الاخبار .. والاحاديث وغيرها .. كأنما هي حالة « انتقام » أمثل دورها بالعكس في دنيا الصحافة بين عهد ، وعهد ..

قلت : ان أي كلام أو رأي أبديه الان سيكون مطعونا فيه .. وسأتعرض لشتى التفسيرات والتهم ، وما قد يكون مجالا لكل قائل يقول ما يشاء وكيف شاء ..

وأردفت : انني شخصيا قررت أن أعطي المؤسسات فرصة « عام كامل » لأنها في هذا العام ستحصل على التجربة التي قررت لها (بضم القاف وتشديد الراء وكسرها) ..

وأذكر أن خبرا نشر في جريدة البلاد في مستهل شهر شوال ٨٣ (بأن المراد من هذه المؤسسات هي أن تكون بمثابة « برلمانات مصغرة » غير رسمية .. ولذلك حشد لها من حشد .. واستبعد منها من أستبعد .. ولذلك فان ما مضى من عمرها لا يتيح حكما منصفا لها أو عليها ..)

ولو أن حالة التوزيع هي المعيار الصحيح الذي ينبغي أن يرجع اليه من قبل المؤسسات . فالمعيار هو السوق .. التداول .. نسبة (الرجيع) .. ان الارقام هي التي تتحدث .. لأنها - العلامة الفارقة - كما هو معلوم ..

ولملمت مشحلي مرة أخرى .. وهربت من السؤال .. والسائلين .. لئلا أتورط في الاجابة على أسئلة كثيرة .. وكثيرة .. ان كان ثمة ما يعتبر تورطا في تقدير العارفين ..

شوارع الرياض ..

وكان يحلو لى فى الرياض أن أجول فى شوارعها للتعرف على موجوداتها من زخرف الحياة ومطالبها .. وللتعرف أيضا على حالة الشوارع ، وما تتمتع به كامل ، من عناية وتنظيف وحسن مظهر ..

وحزنت كثيرا .. من حالتها .. شارع البطحاء .. عريض ، طويل ، وعلى جانبيه عمارات ضخمة . ورائعة .. ولو أن بعضها قد تسلط على الشوارع فى غير تنسيق أو تنظيم ، تماما كالذى حدث أخيرا فى شارع سوق الصغير بمكة المكرمة ..

والاسفلت الذى صرفت عليه مئات الالوف من الريالات .. يبدو فى شكل متحجر يتعثر الماشى عليه سواء أكان راجلا أو راكبا لسيارة .. والارصفة فى شكل يدعو المرء الى تجنب مزالقها .. من الحفر الظاهرة عليها .. انها حالة محزنة .. ومؤلمة .. تدعو للأسف .. ومعذرة يا أمانة مدينة الرياض ..!

خواطر صحفية .. للقراء فقط ..

كتابة الاخبار .. وصياغتها فن واسع .. له ملامح وسمات ..

ان القدرة على صياغة الخبر تشترط أولا : الصدق .. والاخلاص .. من المصادر أساسا .. فاذا ما توفرت كل هذه الصفات .. أمكن للصحفى أن يستعمل « الفن » فى الصياغة والتركيب .. وكان بوسعه أن يصب الخبر فى قالب توجيهى يكسب فكرته الموضوعية المطلوبة ، وينقلها الى مجالات اوسع ، تتيح التطلع الى اكثر من موضوع ، واتجاه .. مما قد يحقق الخير لذاته من الخبر لمجالات أوسع للتطلع الى أكثر من : موضوع ، واتجاه ، وتفكير .. لما قد ينتج منه خير كبير لاغراض الخبر ذاته ..

هذه الطريقة تسمى الآن « فبركة الاخبار » ..

وما أحلاها عندما يتحقق منها الصالح العام فى مفهومه العملى ..

ان كثيرا من الصور الاخبارية التى تنشر الان ، لا تعتمد على الصدق والاخلاص بقدر ما تعتمد على اظهار الاشخاص الذين يمثلون دورهم الخاص فيها .. وهذه بداية سيئة لصحافة المؤسسات ..

سياســة البناء والتدعيم



في تمام الساعة الرابعة من صباح يوم الثلاثاء ٢٤ شوال ١٣٧٧ الموافق ١٤ مايو ١٩٥٨ كان في مطار جدة المدير العام لشركة الاسمنت العربية المحدودة يودع البعثة القاصدة الى عمان للدراسة والتدريب على أعمال أفران الاسمنت.

وتتكون البعثة من ثمانية أشخاص كلهم من المواطنين السعوديين الذين انتخبوا بين عدد كبير تقدم الى الشركة، لممارسة العمل المذكور، وذلك على أسس صحية وعلمية وفنية.

وقد سبق أن أجرت شركة الاسمنت العربية المتحدة مباحثات مع شركة مصانع الاسمنت الاردنية المساهمة بخصوص ذلك التدريب. وعندما أبدت الشركة الاردنية - مشكورة - ترحيبها لتقديم هذه المساعدة الفنية، سارعت شركة الاسمنت الى الاستفادة من هذه الفرصة الكريمة فشكلت البعثة المذكورة وعملت على ارسالها في الوقت المناسب حتى تعود البعثة ومصنع الاسمنت في جدة بادئ في الانتاج ان شاء الله.

وهكذا، فان شركة الاسمنت العربية المحدودة قد حددت أهدافها ورسمت سياستها التي ترمي الى بناء صرح اقتصاد وطني مجيد والى العمل على تدعيم ذلك البناء باتاحة الفرص للمواطنين أن يتقدموا الصفوف الى المراكز الفنية الهامة.

وبهذه المناسبة فقد بلغ مجموع الاشخاص الذين بعثتهم الشركة الى الخارج للدراسة والتدريب احدى عشر شخصا .. والله ولي التوفيق.

من اليمين الصف الاول:

ابراهيم سعيد · عثمان بن سعيد الغامدي · محمد نور مؤذن · سعيد بن محمد

من اليمين الصف الثاني:

علي أحمد العلي · عبدالرسول حسن فدا · محمد داغستاني · أحمد بن صالح الغامدي

مذكرات جابي تحصيل

الحلقة الرابعة

الحلقة الرابعة

مذكرات جابى تحصيل

وتسمع عجبا ، وعجائب ، عن دنيا الروتين ، فى الدوائر الحكومية والقضائية ، وغيرها ولا تملك معها الا أن تبتسم ..

ثم لا تكون القدرة فى « مز القلم » على شرحها .. بقدر مايكون الحصر أشد « لزمة » من الخوض فيها .. كما قد لا يخفى .. فما كل ما يعلم يقال ..

انها كالبحر الزاخر لمن يريد أن يتعلم « العوم » أو « الغوص » فى الاعماق .. مثلا :

فى أمانة الرياض .. سمعت بأذنى مراجعا يقول لمدير مكتب فيها : لن أدفع رسوم « الكوشان » لبناء الفيلا « الدارة » وسأتى بصك شرعى من المحكمة « بأننى معسر » .. وتسمرت على الكرسى الذى كنت أجلس عليه ، بما يشبه الذهول .. وتساءلت :

كيف تقوم حالة « الأعسار » هذه ، فى رجل يطلب رخصة لبناء « دارة » من بلدية الرياض تكلف على مافهمت من الحوار « حامى الوطيس » مبلغا يزيد عن الثلاثين الف ريال عربى ..

ثم لو قدم الرجل صكا يثبت حالة اعساره بشاهدين يقدمهما للقاضى ، فكيف يستقيم منطق الحالة والرجل الذى موضوعه الاعسار ترضى وتوافق بلدية الرياض على اعطائه رخصة موضوعها هى الاخرى السماح له بالبناء بدون دفع الرسوم فى مقابل اعطائه « الكوشان » ..

ثم كيف يستقيم منطق الاعسار بشاهدين المفروض أنهما على علم ودراية بحالة من يشهدان له بالاعسار ..

ربما جاز للقاضى اعطاء « صك الاعسار » اعتمادا على شهادة

الشاهدين - وذمتهما على ماهى عليه - فى علم الله .. ولكن كيف جاز للشاهدين الشهادة وموضوعها الاعسار والحال كما أسلفنا القول فيه ..

اذا فالشهادة هنا باطلة من الشاهدين « مصدرا وأساسا » .. وبشهادة أمانة مدينة الرياض لدى القاضى الذى يعطى الصك .. صك الاعسار .. لو اتصلت بالقاضى ، وأفهمته بأن حامل الصك .. ليس معسرا ، والدليل هو : طلبه رخصة بناء « دارة » تكاليفها حوالى ثلاثين الف ريال عربى ..

غير أن الامر - وعلى ما أتصور - هو أن البلدية ستفعل هذا بدون شك أو ريب لاعتبارات كثيرة أهمها .. هو أن لا يكون فى هذا السلوك مجال للاخرين .. وربما كان هذا سببا من أسباب تأديب أمثال هؤلاء الشهود الذين تزخر بهم المحاكم ..

ولا أريد أن أقحم ديوان المراقبة العامة فى هذه الامور ذلك لأن اختصاصاته لا يتوفر العلم لها الا من واقع القيود الحسابية فى سجلات بلدية الرياض .. اذا ما أصدرت تصاريح بدون قيمة مدفوعة تقابلها ..

وقصة شهود الحال فى الدوائر القضائية هى قضية أخلاق ، وشرف ، وضمير ، بيد أن تحقيقا دقيقا يجرى حول هؤلاء مع تحريات شاملة فى مواقف وتصرفات كهذه وغيرها ، ربما كانت رادعا لمن تحوم حولهم الشبهات ، حتى يلقوا الجزاء تلو الجزاء ، فيكونوا عظة وعبرة لكل من تسول له نفسه الشهادة بدون علم ودراية لمن يشهد له .. وعنه ..

والمحاكم - كما هو معروف - تمور بهؤلاء الذين يحتشدون فيما حولها لتسقط الرزق من كل من يريد الاستشهاد بهم فى أمر يراد به حق أو باطل ..

واللهم رحماك ..

* * *

وقصة أخرى رواها لى رجل ثقة .. حدثت له شخصيا .. قال :

كنت أستخدم شابا كان يعمل فى احدى الوزارات ، فى خارج أوقات عمله ..

وبحكم اتصالاته وعلاقاته بمن ترتبط بهم اعماله ارتباطات مالية .. كلفته بعملية تحصيل لاستحقاقاتى المالية ..

وبعد وقت طويل أكتشفت أن أجزاء كبيرة من الأموال لم تورد لى .. وبعد التحقيق والتحرى عرفت أن هذه الاموال قد استلمها صاحبى هذا ..

ثم قال : وتقدمت بشكوى الى ولاة الامور .. فما كان من صاحبى الا ان طلب احالة القضية الى الشرع ..

وفى المحكمة أنكر صاحبى كل ماجاء فى دعواى .. ثم طلب منى أن أقدم اتفاقا مكتوبا موقعا بينى وبينه عن تكليفه بعملية التحصيل هذه ..

فقلت : بأن الثقة كانت هى الاتفاق المكتوب بيننا . ورفضت الدعوى طبعا ..

وقلت للرجل : لماذا لا تستشهد بالجهات التى دفعت حقوقك لصاحبك هذا .. فى شكل مذكرات منها توجه للمحكمة عن استلامه لكل ما استلمه لحسابك وبتوقيع منه .

وانصرفت لا أدرى ماذا فعل .. أو ماذا عساه أن يفعل ..

وأعتقد أن القضاء سيحكم له لو أتى بهذه المذكرات الرسمية وبصورة مستنسخة من سندات الصرف والاستلام الرسمية التى تشهد لصالحه ..

ان هذه القصص ، قد تضرب مثلا لا شباهها .. وتعطينا فكرة عن انعدام الثقة التى بدأت تفعل فعلها فى النفوس ، والتى من شأنها أن تجعلنا نتحاشى التعامل فيما بيننا الا بتوثقات .. وربما كان « ارهاق الثقة » سببا من أسباب الشك الذى يمزق جزءا هاما من العلاقات بين الناس عموما .. وان شعورا كهذا يسود الناس ويسيطر على النفوس قد يبعث على « الضيق » فى كل صوره واشكاله ..

خواطر ..

■ النماموں – من الناس – في دنيانا ، كثيرون .

غير أن المنصب الذى تتولاه أو الثوب اللامع الذى ترتديه ، قد ينمان عليك اكثر وأكثر ..

فاحذرهما وبحرص بالغ ..

■ لا تتصرف – دائما – من وحي ذكائك ، فربما كان الذكاء من أسوأ وأحمق ما يحمله الانسان ..

■ الوفاء في هذه الايام يشبه النسمة المنعشة في قيلولة قائظة ..

■ هبط عصفور على تكعيبة عنب .. وتلفت يمنة ويسرة .. حذرا من صياد أو حارس لها .. وامتص عنبه .. ثم تلفت يمنة ويسرة . وبنفس الحذر والخوف من أن يصطاد .. فلما لم ير أحدا يرقبه ، امتص أخرى ، وثالثة ورابعة .. حتى انتشى .. وعند رواحه فرحا نشوانا أبصر بالصياد يوجه بندقيته الى حارس البستان .. فهرب لئلا يرى الدماء ..

الفهرس

الفهرس

الموضوع | رقم الصفحة

للتاريخ :

صورة جبل عرفات العكسية أهداها لى سعادة الزميل الاستاذ شكيب الأموى أيام كان زميلا لنا فى أسرة عرفات الجريدة، وأيام كان رئيسا لتحرير قافلة الزيت التى كانت تصدرها شركة أرامكو العربية وتحولت الآن إلى مسمى (القافلة) جعلها الله قافلة خير ورخاء.



تمت الطباعة بمطابع

دار العلم للطباعة والنشر

جدة - خلف شارع الصحافة

مجمع مؤسسة المدينة للصحافة

هاتف ٦٧١٢١٠٠ - ص.ب ٨٠٧ برقيا: المنورة - تلكس ELEM ٤٠٣٥٠٠